

## الباب الأول ألطف حسين حالى

الفصل الأول : الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى شبه القارة  
الهندية فى القرن التاسع عشر .

الفصل الثانى : حياته وثقافته .

الفصل الثالث : جهوده الفكرية والاجتماعية فى بناء المجتمع الإسلامى  
الهندى .



## الفصل الأول

### عصر حالي

#### الحالة السياسية والاجتماعية في شبه القارة الهندية

##### في القرن التاسع عشر

مع بداية القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي بدأت عوامل الضعف تدب في أوصال الدولة المغولية في الهند، تلك الدولة الفتية التي حكمت الهند من عام (٩٣٢هـ / ١٥٢٦م) حتى عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م) شهدت فيها الحضارة الإسلامية في الهند ازدهاراً عصورها.

وكان الإمبراطور المغولي «شاه عالم» يحكم الهند مع مطلع هذا القرن وقد امتد حكمه من عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م حتى وفاته عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م ومن ثم بدأت الدولة المغولية في الإنهيار واستولى الانجليز على مقاليد الحكم في الهند بعد فشل ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، وكان ذلك نهاية لفترة من العلاقات بين العرب والمسلمين من ناحية والهند من ناحية أخرى - امتدت منذ فترة ما قبل الإسلام<sup>(١)</sup>.

(١) كانت للعرب صلات وعلاقات تجارية مع الهند قبل الإسلام وكانت سفن تجار العرب في الجاهلية تصل إلى بحر السند وشواطئ ما لبار وتعود محملة بالاقمشة المختلفة والتوابل والسيوف الهندية التي طالما تفنوا بها في أشعارهم وأولعوا بها حتى سمو السيف المطبوع من حديد الهند، بالهند وقالوا: «سيف مهند وهندي وهندواني إذا عمل ببلاد الهند». ابن منظور: لسان العرب: مادة هند (دار المعارف) وسموا كثيراً من نساتهم هندا. (أحمد أمين: ضحى الإسلام. ج١. ص ٢٢٩) وبعد الإسلام بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند في عهد الخلفاء الراشدين وفتحوا ثغوراً عديدة في الهند أهمها مكران وخور الديبل. (البلاذري: فتوح البلدان: بيروت. ١٩٨٣ ص ٢٤٠-٢٤١ و٤٢٥-٤٢٦، أيضا: سيد سليمان الندوي: عرب وهند كس تعلقات. الهند. ١٩٣٧ ص ٦، ١٣) ثم بدأ الغزو الجدي للهند على أيدي الغزنويين الأتراك من ناحية غزنة وتولى سيكتكين حكم غزنة وأقام دولة في بيشاور وتوفي عام ٣٨٧هـ وخلفه ابنه محمود الغزنوي الذي غزا الهند سبع عشرة مرة في سبعة وعشرين عاماً وتملك بعض الحصون. (أحمد الساداتى: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم. ج١. القاهرة ١٩٥٧م. ص ٩١). وجاء السلطان محمد الغوري وقضى على الغزنويين وخلفهم على حكم الهند ثم جاء بعده المماليك في ٦٠٢هـ / ١٢٠٦م حتى سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م وخلفهم الخليجيون من ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م إلى ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م ثم جاء بعدهم آل تغلق من ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م إلى ٨١٦هـ / ١٤١٣م وسقطت دهلي =

= في يد تيمورلنك سنة ٨٠١هـ / ١٣٩٧م وحكمت أسرة السادات الهند في سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ثم خلفهم اللودهيين حتى عام ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م. وما أن حل عام ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م حتى فتح السلطان ظهير الدين محمد بابر الهند وقضى على سلاطين الدولة اللودھية في معركة پانی بت واستولى على دهلي في غرة صفر ٩٣٢هـ وجلس على عرشها في الرابع من رجب سنة ٩٣٢هـ / ١٥٢٦م وتوفي عام ٩٣٧هـ / ١٥٣١م (ظهير الدين محمد بابر: بابر نامه: ترجمة خان خانان بيرم خان. بومباي. (ب.ت) ص ١٦٣، وخلفه ابنه همليون ثم أكبر ثم جهانگیر فشاھجھان ثم اورنگزیب الذي يعد من أعظم ملوك هذه الأسرة وأقواهم وبعد وفاته عام ١١١٨هـ / ١٧٠٧م بدأت عوامل الضعف والانھیارتدب في أوصل الدولة المغولية إذ حكمها سلسلة من الملوك الضعاف، فتولى بهادر شاه الأول الحكم بعد وفاة والده اورنگزیب في عام ١١١٨هـ / ١٧٠٧م وظل في الحكم حتى عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م وقد قضى فترة حكمه في حروب داخلية من أجل تثبيت ملكه. وظل في الحكم حتى عام ١١٢٤هـ / ١٧١٢م.

(Dunbar: A history of India from earliest times to present day/ London, 1963 P. 289).

وخلفه جھاندار في ٢٩ مارس سنة ١٧١٢م فانصرف إلى حياة اللهو والمتعة حتى قتله أخوه فرخ سير وجلس على عرش دهلي في المحرم من عام ١١٢٥هـ / ١٧١٣م فكان زمام الحكم في أيدي أسرة السادات (Dunbar: Ibid. P. 291 - 292)

(Elphinstine: History of India the Hindo and Mohamadan periods, London: 1849, P. 204).

وفي عهده ثار السيخ في البنجاب والمرهتها في الدكن فقبض السادات على فرخ سير وجاءوا برفيع الدرجات وأجلسوه على العرش في ١١٣١هـ / ١٧٧٩م بعد أن قتلوا فرخ سير، ومات رفيع الدرجات بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم وخلفه رفيع الدولة شاهجھان الذي مات أيضا في نفس العام وخلفه محمد شاه سنة ١١٣١هـ / ١٧١٩م وكان العوبة في يد أسرة السادات وفي عهده غزا نادر شاه الفارسي الهند عام ١١٥١هـ / ١٧٣٩م ومن بعده غزا القائد الأفغاني أحمد شاه الإبدالي الهند عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م وقد جاء بناءً على طلب شاه ولي الله الدهلوي الذي قام بحركة إصلاحية حاول فيها إصلاح الملك والرعية، وتوفي محمد شاه سنة ١١٦١هـ / ١٧٤٨م.

(More Land: A short history of India. Second Edition 1944. P. 267 - 268).

وخلفه ابنه أحمد شاه الذي ورث ملكا ضعيفا ومضت عليه عدة سنوات وكانت نهايته مؤلمة إذ قبض عليه غازي الدين وهو أحد القواد وسمل عينيه وأجلس مكانه عالمگیر الثاني في عام ١١٦٨هـ / ١٧٥٤م وفي عهده عاد أحمد الإبدالي إلى دهلي وخربها ولكن الوباء تغشى في جنوده فرجع إلى بلاده عام ١١٧١هـ / ١٧٥٧م وترك جيشا بقيادة نجيب الدولة الروهيلي ليسانده غازي الدين ولكن غازي الدين استعان بالمرهتها ضد نجيب الدولة وكان معه ولي العهد «شاه عالم الثاني» وقتل عالمگیر عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م وأجلس على العرش مكانه ابنه كام بخش ولكن الإبدالي وصل إلى شمال الهند واستولى على لاهور وهزم المرهتها في معركة پانی بت عام ١١٧٤هـ / ١٧٦١.

(Spear: Twilight of the Mughuls, studies in Late Mughul cambridge at the Universities Press. 1951. P. 13-14).

وبعد ذلك نادى الإبدالي بشاه عالم الثاني سلطاناً على دهلي وتوفي الإبدالي سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م =

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي بدأ الإنجليز في نشر التعليم الإنجليزي بين المسلمين والهندوس، وبدأوا في الاهتمام باللغة الأردية لتكون ندا للغة الفارسية التي كانت لغة الحكام المسلمين في الهند، ولغة الحضارة الإسلامية الهندية لعدة قرون خلت، وقد أدى تشجيع اللغة الأردية إلى حركة تأليف واسعة النطاق في النثر الأردى.

وكان أول احتكاك فعلى بين الأردية كلغة وثقافة وبين أهل الثقافات الأخرى ممثلا فى كلية فورت ولیم وقد أسسها الحاكم البريطانى العام فى الهند اللورد ويلزلى عام ١٧٩٩م وكان الهدف من إنشاء هذه الكلية هو تعليم الضباط الإنجليز الذين سيلتحقون بالعمل فى شركة الهند الشرقية لغة الهند وحضارتها ليكون هؤلاء الضباط واقفين على تقاليد هذا البلد وتاريخه وكذلك كان الهدف من إنشاء هذه الكلية هدفا استعماريًا بحثا هو خدمة مصالح الإنجليز فى الهند دون أن يضعوا فى الاعتبار الاهتمام باللغة الأردية وآدابها ولكنهم ساهموا فى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى الهند دون قصد وبذلك أصبحت اللغة الأردية لغة رسمية فى المصالح الحكومية بدلا من اللغة الفارسية<sup>(١)</sup>.

وفى ٤ مايو ١٨٠٠م فتحت كلية فورت ولیم فى كلكتا أبوابها للدراسة وأشرف عليها «جون گلکراست» (١٧٥٩-١٨٤٧م) ونص برنامجها على كتابة الكتب باللغة الأردية فى موضوعات مختلفة ومتنوعة وترجمة الكتب من اللغة الإنجليزية إلى الأردية وترجمة مختارات من الآداب الشرقية وكان لكلية فورت ولیم بليغ الأثر فى تطور النثر الأردى وبداية النشر الفنى والأردى الذى يؤرخ له بقيام هذه الكلية وكان لجون گلکراست دور بارز فى تطور النثر الأردى وبجهوده أصبحت اللغة الأردية لغة متطورة وصارت اللغة الحكومية وقد أحدث فيها تطورات عظيمة حتى حلت محل اللغة

---

= فاشند از مرهتها فعین شاه عالم الثانى ملكهم أميرا للجیوش كلها وأصبحت إمبراطورية المغول فى كفالته. (جوستاف لوبون. حضارات الهند. ص ٣١٢) وأراد شاه عالم أن يسترد البنغال من الإنجليز فوقعت بينهما حروب انتهت بانتصارهم فى «بُكسر» سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م وقبض غلام قادر روهيلا على شاه عالم وسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م ولم يمكث طويلا ومات عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. (لوثرور ستودارد: حاضر العالم الإسلامى. ج٤. ص ٣١٣) وخلفه ابنه أكبر شاه ثانى فلم يكن له أى تأثير فى الحكم (Spear, op. Cit., P.67).

وجاء بعده بها درشاه الثانى فى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وكان آخر ملوك الأسرة المغولية وقد نفاه الإنجليز إلى رانجون فى بورما بعد ثورة ١٨٥٧م وبذلك انتهى حكم الدولة المغولية للهند وبدأ حكم الإنجليز المباشر للهند من عام ١٨٥٨م واستمر حتى عام ١٩٤٧م.

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٠٥.

الفارسية كلغة للبلاد وللحكومة الإنجليزية، وعندما عمل موظفاً لدى حكومة الشركة أدرك أن تعلم الضباط الإنجليزي اللغة الفارسية فقط ليس كافياً بل يجب عليهم معرفة اللغة الهندوستانية(\*) «أى اللغة الأردية التي كانت تعتبر فى ذلك الوقت لغة كل الطبقات ولذلك ضرب گلکراست المثل بنفسه وعُرف عنه أنه كان يرتدى الملابس الهندية ويتحدث باللغة الأردية السليمة علاوة على إلمامه باللغة السنسكريتية والفارسية واللغات الشرقية الأخرى وقد احتذى حذوه كثير من ضباط الانجليز وخاصة فى تعلم اللغة الأردية(١).

وقام گلکراست بجمع الأدباء والمؤلفين من أنحاء الهند وأطرافها، وعينوا فيها بعض الأساتذة الإنجليزي العارفين باللغة الأردية، وقام گلکراست بانتخاب العديد من الكتب النثرية والقصائد الشعرية الأردية وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وألف كتباً عديدة منها: قاموس إنجليزي - هندوستاني فى مجلدين وكتاب «أدباء الشرق» وقدم له بمقدمة باللغة الأردية و«قواعد اللغة الهندوستانية» و«علم اللغة الهندوستانية» وقام فى كتابه الأخير ببحث فى أصل اللغة الأردية وقد قام باستعراض الآراء السابقة فى هذا الموضوع وتوصل إلى أن اللغة الأردية قد وُضِعَ أساسها فى الهند فى أيام فتح تيمور للهند(٢).

وساعد گلکراست فى إدارة الكلية بعض الضباط الإنجليزي مثل: دويك وتيلر والدكتور هنتر والعديد من أدباء الأردية وكتّابها وعلى رأسهم ميرآمن وشير على أفسوس وحسين لطفى حيدرى وجوان للوال جى ونهال چندلاهورى وإكرام على ولا وسيد محمد منير وسيد بشير على ومير بهادر على حسين وحيدر بخش حيدرى ومير كاظم على جوان ومظهر على ولا وحفيظ الدين أحمد وميرزا على لطف وغيرهم من الأدباء الذين أدوا خدمات جلية للغة الأردية والنشر الأردى، وقد كتب ميرآمن الدهلوى كتابه «باغ وبهار عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م وهو ترجمة أردية لكتاب «قصة چهار درويش لامير خسرو وقد استعمل ميرآمن فى هذه القصة لغة الحوار اليومية والتعبيرات التي يستعملها سكان دهلى بأسلوب ممتع جذاب فكان تصويراً للحياة الاجتماعية والحضارية فى عهده ويعد كتابه أول كتاب يكتب بلغة عامة الناس بأسلوب بسيط سلس ولكن هذا الأسلوب لم

(\*) اطلق الإنجليزي على اللغة الأردية اسم اللغة الهندوستانية.

(١) رام بابو سكسينه: المرجع السابق ص ٤٠٦.

(٢) محمد معين الدين دردائى: تحقيقى مقال. ص ٤٤.

يرق لبعض الكتاب فقاموا بانتقاد أسلوبه ولغته وعلى رأس هؤلاء مرزار رجب على بيگ سرور الذى ألف كتابه «فسانه عجائب» سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م انتقد فيه أسلوب ميرآمن البسيط وكتب قصته بلغة متكلفة وعبارات فارسية وكان سرور ينتمى إلى مدرسة لکناؤ التى اهتمت بالتكلف والتصنع فى النثر والشعر وكتب أدباء هذه المدرسة قصصاً نثرية مثل «طلسم هو شربا» وقصة «أمير حمزة» وطوروا فن القصة ومع أن هذه القصص خيالية إلا أنها قدمت لنا صورة حية وكاملة للعادات والتقاليد والجوانب الحضارية لهذا العهد<sup>(١)</sup>.

وقد كتب الأدباء المنتمون لكلية فورت ولیم العديد من المؤلفات فى النثر والشعروقام مرزا على لطفى بترتيب أول كتاب فى تراجم شعراء الأردية باللغة الأردية اسمه «گلشن هند» أى روضة الهند وذلك سنة ١٨٠٧م وكانت كتب التراجم التى ألفت قبله تكتب باللغة الفارسية، وكتب شیر على أفسوس (١٧٣٥ - ١٨٠٩م) عدة مؤلفات أهمها: الترجمة الأردية لگلستان سعدى والمعروفة باسم «باغ اردو» سنة ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م وطبعت فى کلکتا لأول مرة سنة ١٨٠٢ وفى سنة ١٨٠٤ كتب كتابه المشهور «آرایش محفل» وصحح وحقق کلیات سودا وله ديوان شعر وتوفى عام ١٨٠٩م<sup>(٢)</sup>.

وعمل مير بهادر على حسینی أستاذاً فى كلية فورت ولیم وكتب «أخلاق هندی» سنة ١٨٠٢م ولخص رسالة گلکراست فى النحو والصرف وفن العروض فى اللغة الأردية وطبعت فى کلکتا سنة ١٨١٦م وترجم «تاریخ آسام» تأليف شهاب الدین تابش وشارك فى ترجمة القرآن الكريم.

وكتب سيد حيدر بخش حيدرى كتاباً معروفاً بـ «قصة مهر و ماه» سنة ١٢١٤هـ / ١٨٠٠م وقدمه لگلکراست فاعجب به وعينه فى كلية فورت ولیم، وترجم عدة كتب منها: قصة لیلی والمجنون وطوطا كهانى ترجمة لـ «طوطى نامه، الفارسی لسيد محمد قادری وألفه سنة ١٨٠١ نزولاً على رغبة گلکراست.

أما مرزا كاظم على جوان فقد ترجم مسرحية «شکنتلا» لکاليداس وكتب لها مقدمة تحدث فيها عن أصل هذه القصة وذكر أن كاليداس ترجم هذه المسرحية عن البرج بهاشا سنة ١٧١٦م، وقد انتهى مرزا كاظم من هذه الترجمة سنة ١٨٠١م وطبعت فى کلکتا

(١) ابو الليث صدبقي: جديد اردو ادب ص ٣١ - ٣٢ ورام بابو سکسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٠٧.

(٢) محمد حسين آزاد: آ ب حيات ص ٢٥ - ٢٦.

سنة ١٨٠٢م وقام مرزا كاظم بترجمة القرآن الكريم بأمر من گلکراست وترجم أيضا كتاب « تاريخ فرشته » .

وقام نهال چند لاهورى بترجمة قصة « تاج الملك وبكاؤلى » من الفارسية للأردية وقد عمل مدرسا فى كلية فورت وليم ومن أشهر مؤلفاته « مذهب عشق » المعروفة بقصة « گل وبكاؤلى » التى ألفت بالفارسية باسم عزت الله بنغالى سنة ١١٢٤هـ / ١٨١٠ .

وقد عاصر كتاب كلية فورت وليم أدباء عظام مثل : سيد جعفر روان لكنوى وسيد افتخار الدين شهرت وعبد الكريم خان الدهلوى وخليلى على اشك الذى ترجم « أكبر نامه » باسم واقعات أكبر وذلك فى ١٨٠٩م ولم يطبع، ومرزا جان طپش الذى كتب بالأردية « مثنوى » طويلاً باسم « بهاردانش » ونشرت كليه فورت وليم كلياته<sup>(١)</sup> .

وفى سنة ١٢٠٥هـ / ١٨٠٢م كتب شرى للوجى لال كوى « بریم ساكر » وقام مظهر على ولا ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م بترجمتها للأردية باسم « بتيال بچيسى » وقد انتشرت اللغة الأردية فى ذلك الوقت وأصبحت لغة يفهمها العوام فضلاً عن الخواص وكان ميرانشاء الله خان أول من كتب « قواعد اردو » سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م<sup>(٢)</sup> .

وقد انشأت كلية فورت وليم وبذلك دخلت الطباعة الحديثة الهند لأول مرة فساهمت فى نشر الكتب باللغة الأردية وبذلك ساهمت الطباعة الحديثة فى انتشار اللغة الأردية وتطور النشر الأردى .

وقام السيد أحمد الشهيد (١٧٨٢ - ١٨٣١م) بتأسيس حركة المجاهدين فساهمت فى تطور النشر الأردى لأنهم استعملوا لغة بسيطة سهلة من أجل نشر الدعوة الإسلامية ووعظ المسلمين ومن أجل نشر أفكاره الإصلاحية وقد كتب المجاهدون رسائل وكتباً عديدة فترك لنا السيد أحمد الشهيد كتباً كثيرة أشهرها « ترغيب جهاد » و« هداية المؤمنين » و« نصيحة المؤمنين » و« موضح الكبائر » و« البدعات » و« مائة مسائل » وغيرها وكتب شاه عبد العزيز (توفى ١٢٢٩هـ) « فتاوى عزيزية » باللغة الفارسية وقام مولانا شاه رفيع الدين (١١٦٣ - ١٢٣٣هـ) بترجمة القرآن إلى الأردية، وترجم شاه عبد القادر (١١٦٧ - ١٢٣٠هـ) أيضا القرآن الكريم سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م وكتب تفسيراً له يسمى « موضح القرآن » وكتب شاه محمد إسماعيل - الذى شارك السيد أحمد الشهيد

(١) رام بابو سكسيته : تاريخ ادب اردو . ص ٤٠٩ - ٤١١ .

(٢) محمد حسين آزاد : آب حیات . ص ٢٥ ، ٢٦ .

فى جهاده واستشهد فى بالاكوت ١٢٤٦هـ - رسالة التوحيد و«صراط مستقيم» وتنوير العينين» و«تقويت الإسلام» وبذلك ساهمت أسرة شاه ولى الله الدهلوى فى نشر علوم القرآن والسنة النبوية فى شبه القارة الهندية<sup>(١)</sup>.

وهكذا ساهمت كلية فورت وليم والطباعة الحديثة وحركة المجاهدين فى نشر اللغة الأردية وتطور النشر الأردى وبدأت العلوم والفنون الجديدة تنتشر فى الهند عن طريق كلية دهلى «دهلى كالج» فى سنة ١٨٢٥م أسست كلية دهلى «دهلى كالج» وكانت تمثل صحوة فى شمال الهند وكان لها نفس الدور الذى كان لكلية فورت وليم فى جنوب الهند، فبينما ركزت كلية فورت وليم على النواحي الأدبية واللغوية وتعليم الإنجليز القادمين للهند اللغة الأردية والفارسية والثقافية الهندية فإن كلية دهلى بدأت عملها بحصر عناصر الشرق والغرب معاً تحت سقف واحد فقام أساتذتها ومدرسوها بكتابة مؤلفات عديدة فى مجال العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية وكذلك الأدب واللغة والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلك وعلم السياسة والفلسفة والتاريخ والسيرة والجغرافيا والنقد والصحافة والشعر والتذاكر والمعاجم والرواية والمقال الصحفى وغيرها من المجالات العلمية والأدبية وهكذا كانت كلية دهلى علما من أعلام التجديد فى ذلك الوقت.

وقد بدأت الكلية سنة ١٨٢٥ بتدريس الفيزياء والكيمياء والرياضيات<sup>(٢)</sup> وفى سنة ١٨٢٧م افتتحت الكلية قسماً للغة الإنجليزية وعلى الرغم من معارضة الناس لذلك إلا أن إقبال الطلبة على الدراسة فى هذا القسم لم يكن قليلاً وفى نفس السنة التى افتتح فيها هذا القسم كان عدد الطلاب يربو على الثلاثمائة طالب.

وكان مقر الكلية فى البداية بالقرب من بوابة المدرسة الأجميرية ولكنها عندما تطورت انتقلت إلى البوابة الكشميرية بالقرب من نهر جمنا واستقرت فى النهاية فى المكتبة الملكية وذلك فى سنة ١٨٤٣م<sup>(٣)</sup>.

ولم يكن الطلبة يدفعون أى مصاريف للإلتحاق بكلية دهلى وكانت الكلية تعطى لخريجها أكبر المناصب، ووصل التعليم فيها إلى القمة خاصة فى العلوم الرياضية

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤١٥ - ١٤٦.

(٢) مولوى عبد الحق : مرحوم دهلى كالج ص ١٤، ٩.

(٣) رام بابو سكسينه : المرجع السابق ص ٤٧٩.

والطبيعية والفنون الجديدة وكان التعليم فى هذه الكلية يتم عن طريق القاء المحاضرات لأنه لم تترجم كتب فى العلوم والفنون الجديدة حتى ذلك الوقت وكانت العلوم العربية والفارسية تدرس باللغة الأردية .

وفى سنة ١٨٤٢م افتتحت فى الكلية « دار للترجمة » لنشر العلوم الغربية باللغة الأردية وقد ضمت هذه الدار كثيرا من العلماء الهنود والإنجليز وبجهودهم ترجمت أعداد كبيرة من الكتب فى شتى المجالات وقامت حركة تأليف وترجمة واسعة فى مدن الهند الكبرى مثل : آغرا وبنارس ولكنائز وهذه الكتب موجودة الآن فى مكتبة المكتب الهندى وقد استفاد النشر الأردى من حركة الترجمة استفادة كبيرة وبدأت الكتب تؤلف بلغة بسيطة سلسلة بلا تعقيد أو تكلف<sup>(١)</sup>.

وقد ساهم عدد كبير من الأساتذة الإنجليز والهنود فى التدريس فى كلية دهلى وعلى رأس هؤلاء السيد تيلر مدير هذه الكلية الذى مات فى ثورة ١٨٥٧م وبيندت أجود هياپرشاد وبطرس شيرنجى ووزير على وأمير على ومملوك على أستاذ اللغة العربية<sup>(٢)</sup> ورام چندر أستاذ الرياضيات الشهير وامام بخش صهبائى أستاذ اللغة الفارسية والذى قام بإصلاح أشعار أكثر أمراء المغول فى عصره ومات أثناء ثورة ١٨٥٧م .

وقد تعلم فى كلية دهلى كثير من مشاهير الهند وأدبائها الذين ساهموا فيما بعد فى تطور اللغة الأردية ومنهم : مولوى نذير أحمد الذى ترجم العديد من كتب القانون إلا أن شهرته ترجع إلى قصصه الإصلاحية، ومحمد حسين آزاد الذى ترك ثروة أدبية ونقدية عظيمة وبيارى لال آشوب ومولوى ذكاء الله ومنهم من وصل إلى مناصب عظيمة فى الهند مثل شهمات على الذى أصبح وزيرا لرياسة اندور، والدكتور مكندلال الذى كان مشهورا ومعروفا فى شمال الهند باكملة وغيرهما<sup>(٣)</sup> ويذكر رام بابوسكسينه أن حالى تعلم فى كلية دهلى إلا أن حالى كان قد نفى ذلك فى ترجمته لحياته حيث قال : لم أحصل من التعليم الإنجليزى أى قدر فعندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى مدرسة حسين بخش ليلا ونهارا وكان الناس يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى كلية دهلى جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزى ولم أذهب لرؤية هذه الكلية

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٢) مولوى عبد الحق : مرحوم دهلى كالج ص ٣٥ .

(٣) رام بابو سكسينه . المرجع السابق . ص ٤٧٩ .

كما لم التق بالذين تعلموا فيها فى ذلك الوقت مثل مولوى ذكاء الله ومولوى نذير أحمد ومحمد حسين آزاد وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وقد اغلقت كلية دهلى ابوابها فى ثورة ١٨٥٧م بعد أن مات مديرها تيلر وأمام بخش صهبائى. وعندما قتل عالمگير قام ولى عهده مرزا عبد الله على جوهر باعلان نفسه ملكا وتلقب بشاه عالم وكان فى ذلك الوقت يعيش تحت رعاية شجاع الدولة ملك أوده وبعد أن تخلص أحمد شاه الأبدالى من المرتهتها واراد ان يرحل عن الهند أقر شاه عالم ملكا وعماد الملك وزيراً ونجيب الدولة قائدا للجيش<sup>(٢)</sup>.

ورغم رحيل أحمد الأبدالى عن الهند ظل شاه عالم غائبا فى منفاه بالشرق لفترة طويلة حاول فيها استخلاص البنغال من ايدى البريطان ولم يفلح فى ذلك وإن كان قد أفلح فى انقاذ لقب المملكة من الضياع<sup>(٣)</sup>.

وقد شهدت الهند فى هذه الفترة اضطرابات عديدة من جانب المرتهتها والسيخ والافغان وتحولت المملكة إلى ولايات منفصلة وابتعد الملك فى منفاه<sup>(٤)</sup>.

وقد عاد شاه عالم إلى دهلى سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧٢ فى كنف المراهتها إذ أعاده إليها ملكهم مادها فاراو فعينه شاه عالم على إمارة الجيوش وصارت الدولة تحت امرة المرتهتها حتى جاء غلام قادر خليفة نجيب الدولة وقبض على شاه عالم واسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م ف قضى على ما تبقى من هيبة الملك و ظل المرتهتها يثبتون أقدامهم إلى أن اطبق البريطانيون على دهلى سنة ١٨٠٣م بقيادة ولزلى وصار الملك المغولى يتقاضى راتباً شهرياً من البريطانيين ويعمل وفق أوامره إلى أن توفى سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م<sup>(٥)</sup>. و حين قضى شاه عالم خلفه ابنه أكبر شاه الثانى لي قضى حياة يغلب عليها الخمول والضعف وخلفه ابنه بهادر شاه الثانى عام ١٨٣٧م ليعيش بدوره على الرزق الذى كان يجريه البريطانيون على ابيه من قبل بعيداً عن كل نشاط سياسى أو

(١) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(2) SPEAR: TWILIGHT OF MUGHULS. STUDIES IN LATE MUGHUL  
Ca MBRIDGE UNIVERSITY PRESS. 1951. P. 14 - 15.

(٣) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. ج٢. ص ٦٤٦.

(4) EL-PHINSTINE. HISTORY OF INDIA, THE HINDU AND MOHAMATAN  
PERIODS, TIRD EDITON LONDON, 1849. P. 669.

(٥) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهند وباكستانه ج٢، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

## مشاركة في الحكم<sup>(١)</sup>.

وفى السادس من ذى القعدة سنة ١٢٧٣هـ العاشر من مايو ١٨٥٧م قامت الثورة الهندية وقد قام بها جنود معسكر ميريت<sup>(٢)</sup> حيث قاموا بإشعال النار فى المباني داخل قلعة ميريت وحطموا السجون وحرروا السجناء. ثم انطلقوا بعد ذلك إلى دهلى فدخلوها وقاموا بقتل عدد كبير من البريطانيين<sup>(٣)</sup> ثم توجهوا إلى بهادر شاه ظفر وطلبوا منه قيادة الثورة على الرغم من أنه لا يملك جيشاً أو ملكاً ولكنهم أرادوا أن يكون لهم رمزاً<sup>(٤)</sup>.

ولكن الثورة فشلت لعدم وجود إمدادات مادية كافية وجهل قوادها بتنظيمها ولأسباب أخرى سنذكرها فيما بعد. وقد قام الأنجليز بمحاكمة بهادر شاه ظفر وقرروا نفيه إلى رانجون فى بورما هو وأسرته فى أكتوبر ١٨٥٨م، وظل بهادر شاه ظفر فى رانجون إلى آخر حياته حيث توفى فى السابع من نوفمبر سنة ١٨٦٢م ودفن هناك<sup>(٥)</sup> وبذلك انتهت فترة حكم الدولة المغولية فى الهند وفى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م أعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة<sup>(٦)</sup> وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننج حاكماً عاماً للهند تحت سلطة التاج وتفرغ الأنجليز بعد ذلك لإذلال الهنود عامة والمسلمين خاصة وأذاقوهم من ضروب الانتقام والتكفير مما لا يتسع المجال لسرده.

ولم تكن الثورة الهندية ثورة سياسية فى تاريخ شبه القارة الهندية قامت فيها حكومة مكان أخرى فحسب بل كانت ثورة حضارية ونهاية ثمانية قرون من حكم المسلمين ونفوذهم فى الهند ونهاية لحضارة المسلمين وجهودهم فى قرون وصار المسلمون محكومين إذلاء بعد ما كانوا سادة واضطهدوا من الأنجليز والهندوس والقى الأنجليز بمسئولية قيام الثورة كاملة على عاتق المسلمين واعتبروهم روح هذه الثورة لأنهم قد

(١) أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(2) MORELAND, ASHORT HISTORY OF INDIA. SECOND EDITION, LONDON, 1944. P. 369.

(3) SPEAR: OP. CIT., P. 201.

(4) SPEAR: OP. CIT., P. 205.

(5) SPEAR: OP. CIT., P. 226-227.

(٦) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. ج٢، ص ٦٤٦.

سلبوا الحكم من أيديهم . وفي هذا شيء من الحقيقة لأن ثورة ١٨٥٧م كانت بمثابة حلقة من حلقات جهاد المسلمين المتواصل لطرد الإنجليز من الهند بداية من السلطان سراج الدولة والسلطان تيبوفى البنغال ونهاية بالسيد أحمد الشهيد فى البنجاب والحركات الإسلامية فى جميع أنحاء الهند .

وقد أكد السير سيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨م) هذه المخاوف التى كانت تدور فى خلد المسلمين فى ذلك الوقت عندما كتب رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب ثورة الهند وذكر فيها أن مخاوف المسلمين كانت فى محلها وخاصة أن الإنجليز تدخلوا فى أمور دينهم فى نفس الوقت الذى انهمك فيه المبشرون فى الدعوة للديانة المسيحية، وعلى كل حال فقد فشلت ثورة ١٨٥٧م وسام الإنجليز المسلمين العذاب وتغيرت السيادة فى الهند وحاول الهندوس تسلم القيادة من المسلمين بعد ثمانية قرون من حكمهم وصارت الثروة فى يد الإنجليز ولم يعد للمسلمين إلا البكاء على أطلال ماضيهم<sup>(١)</sup>.

وفى تلك الأثناء ظهرت فى الهند حركة سياسية اجتماعية هى حركة «على گرطه» التى رادها السير سيد أحمد خان وكان يهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين المتردية والخروج بهم من كبوتهم وحاول أن يزيل سوء الفهم بين المسلمين والإنجليز وخلف جواً من التفاهم والتعاون معهم لأنه - فى رأيه - لن يتقدم المسلمون دون إقامة جسور التفاهم مع الإنجليز وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها من المسلمين لعدم استساغتهم لطريقته فى الإصلاح حتى اتهموه بالتملق والعمالة للإنجليز وصدرت الفتاوى تكفروه إلا أنه استمر فى حركته بإيمان وإخلاص وكانت حركة على گرطه بداية لحركة أدبية جديدة فى الأدب واللغة الأردية أجهت إلى الأدب الإصلاحى الهادف وأعلن السير سيد أن الهدف من الشعر والأدب هو الإصلاح وفلاح القوم وأن اللغة ما هى إلا وسيلة لإظهار الأفكار فلذلك يجب على الأدباء أن يختاروا اللغة السهلة السلسة بلا تكلف أو صنعه<sup>(٢)</sup> وقام بنفسه بإعادة صياغة كتابه «آثار الصناديد» فى لغة سهلة سلسة وكتب عدة كتب ساهمت فى تطور النشر الأردى هى رسالة «أسباب بغاوت هند» التى كتبها سنة ١٨٥٨م وطبعت سنة ١٨٦٣م و«فادار مسلمانان هند» أى وفاء مسلمى

(١) أبو الليث صديقى : جديد اردو ادب ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) محمد معين الدين درداى : تحفيقى مقالے . ص ٦٩ .

الهند وكتب تفسيراً للإنجيل سماه «تبيين كلام»، وقام في ٤ ديسمبر ١٨٧٠م بإصدار مجله «تهذيب الاخلاق» على غرار مجلتي «إسبكتير» و«أورتيتلر» الإنجليزيتين اللتين كانتا تصدران في لندن ويديرهما «اديسون» و«استيل» وكان السير سيد يقوم بترجمة هاتين المجلتين أو يلخص أفكارهما ثم ينشر ذلك في مجلة «تهذيب الاخلاق» إلى جانب ما يقوم بكتابته بنفسه حول الموضوعات الخاصة بالتعليم الجديد والعلوم الحديثة وقد ساهمت هذه المجلة مساهمة فعالة في تغيير أساليب الكتابة وموضوعاتها مما ساعد على ازدهار النشر الأردني<sup>(١)</sup>، وقد ألفت ثورة التحرير ١٨٥٧م بظلالها على الحياة بصفة عامة وعلى الأدب الأردني بصفة خاصة وقد واجه السير سيد ورفاقه عواقب فشل هذه الثورة من جانب الحياة الاجتماعية والأدبية وألقى الضوء على جميع جوانب الحياة والأدب وكان الشعر والأدب الأردني في ذلك الوقت تصوراً ناقصاً ومحدوداً في نطاق لغة الحديث اليومية بين العوام أو في نظم الشعر ولم يكن الأدب ترجماناً للحياة والواقع فحسب، بل كان غريباً عن متطلبات الحياة وحقائق الكون.

وقد ساند السير سيد في حركته كثير من الأدباء المؤيدين لأفكاره وساهموا بذلك في نشر الحركة الأدبية في الهند في تلك الفترة وكانت بصماتهم واضحة على الأدب الأردني حتى اليوم وعلى رأس هؤلاء الأدباء الطاف حسين حالي (١٨٣٧ - ١٩١٤م) ومحمد حسين آزاد (توفي: ١٩١٤م) ونذير أحمد (١٨٣١ - ١٩١٢م) وشبلي النعماني (١٨٥٧ - ١٩١٤م) وذكاء الله (١٨٣٢ - ١٩١٠م) ونواب محسن الملك (١٨٣٧ - ١٩٠٧م) ونواب وقار الملك (١٨٣٩ - ١٩١٧م) ومولوى چراغ على (١٨٤٤ - ١٨٩٥م) ومولوى سيد أحمد الدهلوى (ولد سنة ١٨٤٦م) وقد كتب هؤلاء الأدباء كتباً قيمة في جميع الموضوعات كالتاريخ والفلسفة والسياسة والدين والأخلاق والعلوم وهياوا الألفاظ والمصطلحات المناسبة في اللغة الأردنية لتواكب العصر مما كان له عظيم الأثر في ظهور حركة التجديد والبعث في الأدب الأردني<sup>(٢)</sup>.

وقد تميز حالي بالكتابة في موضوعين أظهر فيهما النبوغ والتفوق وهما فن كتابة التراجم والنقد الأدبي، فكتب في التراجم: «حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات

(١) سيد أحمد خان: أسباب بغاوت هند. نقلا عن كتاب «حيات جاويد» لالطاف حسين حالي من ص ٨٨٦ حتى ص ٩٢٩.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

جاويد» وأسس حالي بذلك فن التراجم فى اللغة الاردية ومنحها قدراً كافياً من القوة والاستدلال والشمول بحيث أصبحت الآن فى الادب الأردى نماذج كاملة يحتذى بها فى هذا الفن الأدبى وكان فن كتابة التراجم قبل حالى قاصراً على حياة السلف وأعمالهم فقط مع إضفاء نوع من المبالغة وهالة من التقديس لهذا البطل أو ذاك لإثبات تفوقه غير العادى، أما حالى فقد قدم شخصيات واقعية معاصرة له وقِيمَ فيها جوانب كل شخصية مع إبراز المحاسن والعيوب دون مبالغة. أما الموضوع الثانى الذى برع فيه حالى فهو النقد الأدبى فكتب أول كتاب منهجى فى النقد الأردى وهو «مقدمه شعر وشاعرى» وهو موضوع بحثنا فى الصفحات القادمة.

وعلاوة على هذا فقد كان حالى شاعراً ورائداً للشعر الأردى الحديث وقدم نماذج شعرية قيمة فى الشعر القومى وشعر الطبيعة.

وكان محمد حسين آزاد كاتب نثر ومؤرخاً وناقداً أدبياً وشاعراً وعالم لغويات وله أسلوب متفرد وشارك حالى الدعوة للشعر الجديد وكتب عدة كتب نثرية قيمة فى اللغة والادب هى: «آب حیات» و«رتب ديوان ذوق» و«دربارا كبرى» و«نگارستان فارس» و«نيرنگ خیال»<sup>(١)</sup>.

أما شبلى النعمانى فقد كان آخر حلقة فى سلسلة رفاق السير سيد فاخذ عنه الاستدلال المنطقى وعن آزاد التحقيق والتدقيق وعن حالى الصفاء والبساطة فى الأسلوب كما أخذ من نذير أحمد قوة البيان وبذلك اكتسب شبلى النعمانى جميع مزايا معاصريه فى كتابة النثر وبرع فى مجال كتابة التاريخ وفلسفته فكتب سلسلة تراجم لمشاهير الإسلام وعلى رأسهم الفاروق عمر بن الخطاب و«المأمون» و«سيرة النعمان» وغيرها وكان نذير أحمد الدهلوى أول من برع فى فن الترجمة فترجم العديد من الكتب الإنجليزية للغة الإردية أبرزها كُتُب القانون، وانفرد عن اقرانه بكتابة القصة والرواية فكان بحق أول قاص وروائى اردى وضَّح كثيراً من القضايا الاجتماعية فى رواياته بأسلوب قصصى واقعى شائق بعيداً عن الاسطورة والخيال فترك لنا «توبة النصوح» و«مرآة عروس» و«بنات النعش» و«ابن الوقت» وغيرها من القصص.

وترك ذكاء الله عدة كتب فى الرياضيات والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وعلم السياسة، وكتب مولوى سيد أحمد الدهلوى المعجم الأردى الشهير «فرهنگ

(١) محمد معين الدين. تحقيق مقال من ٧٣.

أصفيه»<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من أن هؤلاء الأدباء كتبوا فى موضوعات متباينة ومختلفة وفى فروع مختلفة من فروع الأدب إلا أنهم كانوا يلتقون جميعاً على هدف واحد ومذهب أدبى واحد وهو حركة التجديد فى الأدب الأردى التى سميت بحركة على كسر طه الأديبة واحداثوا ثورة عارمة فى مجال النشر الأردى مما كان له دور كبير فى اثرائه لىواكب حركة العصر الحديث وليكون فى خدمة المجتمع.

### الصحافة الأردية :

عرفت الدولة المغولية فى أيام الملك أكبر الصحف فى صورتها الأولى حيث كانت أخبار المملكة تقدم إليه يومياً على هيئة «تقارير» يقوم بكتابتها مجموعة من أدباء البلاط وكان الهدف منها كتابة أخبار الملك والبلاط والوزراء والأمراء ووصف المعارك والحروب وندوات الشعر وغيرها من مظاهر الحياة الملكية وبذلك كانت هذه التقارير قاصرة على الأسرة الملكية والحاشية دون بقية الشعب.

ولم تكن هذه التقارير صحافة بالمصطلح الحديث لهذه الكلمة، ومع دخول شركة الهند الشرقية إلى الهند ودخول الطباعة معها عام ١٨٠٥م بدأت تصدر عدة جرائد وصحف فى بومباى ومدارس وصدرت أول صحيفة إنجليزية فى كلكتا باسم GEN- ERAL ADVERTISER أى المبلغ العمومى عام ١٨١٨م ثم صدرت جريدة أخرى باللغة الإنجليزية هى «INDIA GAZETTE» أى جريدة الهند الرسمية عام ١٨٢٠م وكانت هذه الصحف تهتم بنشر الأخبار السياسية والتجارية للشركة وخدمة أهدافها الاستعمارية ولم يكن نصيب الفرد العادى منها شيئاً وقد احتكر الانجليز إصدار الصحف وراقبوا ذلك مراقبة صارمة<sup>(٢)</sup>. ونتيجة لتطور الطباعة صدرت مجلات وصحف عديدة باللغة الأردية وأحدث ذلك طفرة كبرى فى تزويد العامة بالمعلومات الكافية والصادقة عن الأحداث التى تدور فى العالم وقد أدى ذلك أيضاً إلى إتاحة الفرصة للكتاب لتناول الموضوعات المختلفة فصاغوا الموضوعات الأوربية بلغتهم الأردية، وفى عام ١٨٣٢م أصدر الانجليز قراراً بإلغاء اللغة الفارسية كلغة رسمية للهند وجعل اللغة الأردية لغة رسمية بدلاً منها مما كان له بليغ الأثر فى تطور اللغة الأردية<sup>(٣)</sup>. وفى سنة ١٨٣٦م حصلت الصحف

(١) رام بابو سكسينه. تاريخ ادب اردو ص ٤٦٥.

(٢) عبد السلام خورشيد: كاروان صحافتى ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٣٧.

والمطبوعات على حريتها وأصدر مولوى محمد باقر حسين والد الأديب محمد حسين آزاد أول صحيفة باللغة الأردية هي «ارد وأخبار» ولم تكن صحيفة بالمعنى الحديث بل كانت عبارة عن مجموعة من الأخبار المتفرقة وكانت عبارة عن ورقة أدبية تنشر بين الحين والحين غزليات ذوق وغالب ومؤمن والشعراء المعاصرين لهم، وفي سنة ١٨٥٠ أصدر منشى هرسنگ راي صحيفة «كوه نور» في لاهور تحت إشراف حكومة الشركة وكان لهذه الصحيفة شهرة واسعة في انحاء الهند وصدرت هذه الجريدة أسبوعياً في البداية ثم صدرت مرتين ثم ثلاث مرات في الأسبوع واغلقت في النهاية<sup>(١)</sup>.

وقام منشى نولكشور والفريق الذى كان يعمل معه بإصدار عدة صحف مثل «مشعلة طور» و«مطلع نور» في كانپور و«پنجابى اخبار» و«انجم اخبار» في لاهور و«اشرف الاخبار» في دهلى و«فيكتوريا اخبار» في سيالكوت و«قاسم الاخبار» في بنگلور و«كشف الاخبار» في بمباى و«كارنامه» في لکناؤ و«جريدة روزگار»، في مدارس ولكن سرعان ما توقفت هذه الصحف عن الصدور وقام منشى نولكشور بإصدار صحيفة «اوه اخبار» سنة ١٨٥٨م وكانت مادة هذه الصحيفة في الغالب عبارة عن مجموعة من الأخبار المترجمة عن الصحف الإنجليزية وصدرت هذه الصحيفة أسبوعياً في البداية ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة من الكتاب الكبار<sup>(٢)</sup>.

ثم صدرت جريدة خاصة بالمسلمين في مدراس هي «شمس الاخبار» ولكنها اغلقت بعد فترة قصيرة وأصدر پندت مکنند رام صحيفة «اخبار عام» وكانت جريدة خاصة رخيصة الثمن وتولت حكومة الشركة الإشراف عليها بعض الوقت وكانت توزع على المدارس وصدرت هذه الصحيفة في البداية أسبوعياً ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة كبيرة من الكتاب إلا أن لغتها كانت تفتقر إلى الخصائص الأدبية<sup>(٣)</sup>.

وفي ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٠م أصدر السير سيد أحمد خان جريدة «تهذيب الاخلاق» على غرار الصحف الإنجليزية التى رآها في لندن أثناء زيارته لها وكانت هذه الجريدة لسان حال حركته من أجل نشر الحضارة الغربية والعلوم الجديدة وكان لهذه الجريدة دور بارز في تطور النشر الأردى حيث كانت تُكتب بأسلوب بسيط سهل يفهمه

(١) محمد حسين آزاد. آب حیات. لاهور (ب.ت) ص ٣٥.

(٢) رام بابو سکسینه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٥.

(٣) رام بابو سکسینه: تاريخ ادب اردو، ص ٤٩٦.

العامة والخاصة واستمرت هذه المجلة فى الصدور حتى سنة ١٨٩٧م وكانت أول جريدة لها سمات الصحف الحديثة التى تصدر اليوم وكتب حالى فى هذه الجريدة مقالات عديدة خاصة بالأدب والشعر والنقد الأدبى وجمعت مقالاته التى كتبها فى هذه الصحيفة والصحف الأخرى فى جزئين تحت اسم «مقالات حالى» واشترك فى تحرير هذه المجلة معظم رفاق السير سيد وعلى رأسهم وقار الملك ومحسن الملك وجرار على ونذير على وغيرهم. وقد جمع مجلس تطوير الأدب الأردى «مجلس ترقى أدب» بلاهور هذه المقالات فى عدة مجلدات كان نصيب السير سيد منها عشرة مجلدات.

وفى سنة ١٨٧٧م صدرت جريدة «أود هينج» فى لكاناؤ وكانت جريدة ساخرة نالت إعجاب الناس منذ نشأتها لأسلوبها الفكاهى الساخروبدأ الجميع يقلدونها وخاصة ما كان يكتب فيها عن الحرية والحضارة والمقلدين للغرب وخاصة السير سيد ورفاقه الذين لم يسلموا من انتقادهم وانتقدت هذه الصحيفة الطاف حسين حالى لتأييده حركة على گرطه ودعوته لشعر الطبيعة والشعر الجديد، وحررت هذه الصحيفة بأسلوب راق وكانت تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الثقافة الإسلامية على عكس صحيفة «تهذيب الأخلاق» التى روجت للحضارة الغربية فى الهند، وأشرف على إدارة هذه الصحيفة الكاتب سجاد حسين ولفيف من أصحاب الأسلوب الفكاهى اللاذع.

وفى سنة ١٨٨٣م صدرت فى لكاناؤ جريدة «رفيق هند» وكانت أول جريدة أردية تتناول الأحداث والوقائع السياسية وصدرت فى البداية أسبوعية ثم صدرت مرة كل ثلاثة أيام إلا أن لغتها لم تكن أدبية.

وفى سنة ١٨٨٧م أصدر منشئ محبوب عالم جريدة «بيسه أخبار» وكانت رخيصة الثمن إلا أن موضوعاتها كانت قيمة فأقبل عليها الجميع وكتب حالى فيها عدة مقالات تتعلق بالشعر والأدب الأردى<sup>(١)</sup>.

وقد أدت حركة الصحافة الحديثة فى الهند إلى جانب الطباعة إلى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى أرجاء الهند وأخذ النشر الأردى بصفة خاصة يزدهر وخاصة فن كتابة المقال الصحفى مما كان له بليغ الأثر فى تطور أسلوب الكتابة الأردية وإثراء اللغة الأردية بالمصطلحات الحديثة وتطورت الأبحاث فى أصل اللغة الأردية وقام العالم اللغوى

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٧.

شوكت سبزواری بكتابة عدة كتب تناولت علم اللغة الأردية أهمها «أردو لسانیات»  
أى علم اللغة الأردية و«داستان ربان اردو» أى قصة اللغة الأردية وكتاب «أردو زبان کا  
ارتقا» أى تطور اللغة الأردية.

وهكذا تطورت اللغة الأردية وكانت كالنحلة التى تتراد الحقائق وتمتص من رحيق  
أزهارها المختلفة فى اللون والرائحة والمذاق لتحوّله إلى عسل صاف فيه شفاء للناس  
فأخذت فصاحة العربية وجمال الفارسية وسلاستها وقوة التركية وأصبحت فى العصر  
الحديث إحدى لغات الحضارة الإسلامية.

## الحركات الإسلامية فى الهند فى القرن

### الثامن عشر والتاسع عشر

عندما دخل المسلمون الهند منتصرين تربعوا على عرض السلطة هناك أكثر من ثمانية قرون بسبب تفوقهم العسكرى وأسلوب حكمهم وحضارتهم التى تركت بصمات واضحة على أرض الهند، نعم كانوا أجنب عن الهند ولكن عندما جاءوا إليها وأقاموا بها أصبحت الهند وطنهم وصارت مصلحة الهند مصلحتهم وعندما طال بهم المقام تضاءل - بالتدرىج - الإحساس لديهم بالغربة وتعانقت الحضارتان الإسلامية والهندية - على الرغم من اختلافهما - مكونتين حضارة ثالثة تمتزج فيها خصائص الحضارتين الأ وهى حضارة الهند الإسلامية وقد حصل المسلمون على امتيازات كبيرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية واستمرت هذه الامتيازات طالما كانت الحكومة فى يد المسلمين .

وكان ازدهار الحضارة فى عهد المغول من الأحداث الهامة فى تاريخ الهند فقد بنى ملوك المغول صرح هذه الحضارة بحسن تدبيرهم لأمر مملكتهم ولكن لم يستطع خلقائهم الضعاف من بعدهم المحافظة على هذه الحضارة وفى وقت قصير ظهرت الفتن واجتمعت على الدولة المغولية كل قوى التخريب وخاصة المرهتها والسيخ والروهيلال الذين تفاقم شرهم وألحقوا بالدولة أضراراً جسيمة أدت بهم فى النهاية إلى الوقوع فى براثن الاستعمار الانجليزى، فبعد وفاة اورنگزيب ضعفت الحكومة المركزية واستقل حكام الأقاليم وذهب وقار الأمراء المغول وسيطرت عليهم أهواؤهم الشخصية ومصالحهم الخاصة وتعاركوا فيما بينهم على الحكم حتى تزلزلت أركان دولتهم كما فسدت القيم الأخلاقية وانعدم الشعور بها لدى العامة وضمحل اقتصاد الدولة عندما بدأ الأمراء ينفقون أموال الدولة فى الحروب والمؤامرات<sup>(١)</sup> .

وقد انعكست هذه الأوضاع السيئة على الناحية الدينية فعمت البدع والخرافات وابتعد الناس عن الدين ونسى المسلمون روح الإسلام فعم الفساد الأخلاقى وانتشرت الأمراض الاجتماعية ولم يعد هناك فرق واضح بين المسلمين والهندوس من حيث

(١) سيد أبو مظفر ندوى : مختصر تاريخ هند . طبعة ثانية . سلسلة دار المصنفين معارف اعظم كمرطه ١٩٣٨م

التقاليد الاجتماعية فبدأت البدع الهندوسية فى الدفن والزواج وغيرها تنتشر بين المسلمين - رغم مخالفتها للشريعة الإسلامية - بسبب التأثير المكاني، وكان الوقت مناسباً والبيئة صالحة لظهور مصلحين إسلاميين فى وسط هذه الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والدينية لشرح تعالم الإسلام من جديد وبزغ نجم شاه ولى الله الدهلوى الذى حاول اصلاح أحوال المسلمين<sup>(١)</sup>. ولم تظهر أى علامات على ضعف حياة المسلمين الاجتماعية - فى الظاهر - حتى وفاة أونگزیب ولكن فى الحقيقة أن الفساد العقلى والاجتماعى كان قد بدأ فى الظهور منذ عهد الملك أكبر لذا نرى أن حركة احياء الدين التى نادى بها الشيخ أحمد السرهندى فى عهد الملك جهانگیر كانت قوية وضمت تحت لوائها مئات العلماء وقام الشيخ السرهندى بمحاولة إزالة الركود الفكرى وأكد على اتباع القرآن والسنة وتمسك المسلمين بعقائدهم وظهر أثر هذه الحركة على أكمل وجه فى عهد شاهجهان وأرنگزیب الذى بموته تعرضت الحياة الاجتماعية للخطر نتيجة الضعف السياسى ومحاولة الإنجليز الهيمنة على حكم الهند<sup>(٢)</sup>. وقد ضاعف الاحتلال الأنجليزى من المساوى الاجتماعية للمسلمين وأفسد حياتهم وكان رد فعل المسلمين إزاء ذلك متمثلاً فى حركتين مختلفتين ومتضادتين هما:

أ - الحركة الأولى: عارضت الإنجليز ورفعت راية الجهاد لتخليص الهند منهم لكى تقيم الحكومة الإسلامية وتزامنت هذه الحركة مع بداية السيطرة الإنجليزية ويأتى السيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين على رأس هذه الحركة التى واصلت جهودها لتحرير الهند من الإنجليز بعد وفاة شاه ولى الله الدهلوى واستمرت هذه الحركة حتى عام ١٨٧٢م وكانت مدرسة «ديوبند» هى قلعتهم العقيدية المنادية بأفكارهم الإصلاحية.

ب - الحركة الثانية: وهى حركة على گرطه وبدأت عام ١٨٧٠م وكانت تدعو إلى التفاهم والتصالح مع الإنجليز وراداها السير سيد أحمد خان، وكلية على گرطه هى مركزهم الفكرى.

وسوف أتناول فى الصفحات القادمة ظروف نشأة هاتين الحركتين ودورهما فى الحياة الاجتماعية فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ الهند لما لهما من دور بارز فى تطور النشر الأردى، أما الجانب الفكرى للحركتين فسأتناوله عند الحديث عن الحياة الفكرية.

(١) محمد اكرام: موج كوثر. ص ١٣ - ١٤.

(٢) عبید الله سندھی: شاه ولى الله كے سياسى تحريك. لاهور. ١٥. ١٩٤٥م ص ١٧.

## الحركة الأولى : معارضة الإنجليز والحركات الإسلامية

أ - حركة شاه ولي الله الدهلوى ( ١٧٠٢ - ١٧٦٢م ) نـ

قامت هذه الحركة الإصلاحية فى الهند فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى يغص بالحركات الإصلاحية والثورية التى كانت تنبعث من آن لآخر ضد الحكومة الإنجليزية ولم يكن لدى المسلمين أية وسيلة يستطيعون بها منع القوى غير الإسلامية الأخرى فى الهند مثل السيخ والمرهتها والجات بالإضافة إلى الإنجليز والقضاء عليهم خاصة فى الوقت الذى ضعفت فيه الإمبراطورية المغولية ولم يعد لها أى دور حقيقى فى حكم الهند وقد عم المجتمع الفقر وانتشرت الأمراض الاجتماعية بين المسلمين وخاصة النفعية والأناية وعدم الشعور بالأمان فلا أمل فى الخروج من هذه الحالة، ولم يلح فى الأفق أى علاج لها، ولكن هذا النوع من الاضطراب وسوء الأوضاع الاجتماعية كان بيئة صالحة لظهور المصلحين والمفكرين الذين يدرسون الأوضاع والأحداث بعمق ويقترحون الحلول المناسبة لها، وفى هذه البيئة المضطربة ولد شاه ولي الله فى دهلى وأسس المدرسة الرحيمية التى أصبحت فيما بعد نواة لحركته الإصلاحية، وقد كان عالماً فذاً وهبه الله بصيرة نافذة وعقلاً راجحاً فقام باستعراض مفصل لحالة المسلمين المتردية فى الهند فى منتصف القرن الثامن عشر وقد اعتبر أن المشاكل الاجتماعية التى يواجهها المسلمون كانت نتيجة لضيق السلطة منهم وتفشى الفساد الأخلاقى بين المسلمين لذلك كان الهدف الأساسى لحركته هو إحياء الأخلاق القويمية فى مجتمعه والقضاء على النظام الرجعى فى الحكم وإقامة نظام حكم جديد لذلك اعتبر شاه ولي الله الجهاد ضرورياً لتنفيذ أهدافه، وفى بداية جهوده الإصلاحية أتجه أولاً إلى الملك فى محاولة لإيقاظه من نوم الغفلة لكنه فشل فاتجه إلى الأمراء ولكنهم لم يسمعوا إليه .

وقد اهتم شاه ولي الله بالنظام الاجتماعى فى الهند وأكد على أن تماسك المجتمع ينحصر فى مدى فعالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم فيقول فى كتابه «حجة الله البالغة» فى باب «سيرة الملوك»: يجب أن يكون الملك متصفاً بالأخلاق المرضية، وإلا كان كلاً على المدينة، ولا يألوا جهداً فى إصلاح المدينة، ولما كان الملك لا يستطيع إقامة هذه المصالح كلها بنفسه وجب أن يكون له بإزاء كل حاجة أعوان، ومن شرط الأعوان الأمانة

والقدرة على إقامة ما أمر به، ويجب على الملك أن يسأل كل يوم ما فيهم من الاخبار ويعلم ما وقع من الإصلاح وضده<sup>(١)</sup>، وقد أكد شاه ولي الله الدهلوى على أهمية الضرائب فى تنظيم المدينة .

ويرى بالنسبة لتنظيم اقتصاد المدينة أنه يجب على أهل المدينة أن يكون توزيعهم فى الإقبال على الاكساب بحيث لا يضر بالمدينة مثل أن يقبل أكثرهم على التجارة ويدعوا الزراعة أو يتكسب أكثرهم بالغزو ونحوه، إنما ينبغى أن يكون الزراع بمنزلة الطعام والصناع والتجار والحفظة بمنزلة الملح المصلح له<sup>(٢)</sup>، وبذلك أكد شاه ولي الله على أهمية التوازن بين الحرف والصناعات حتى يكون هناك بينهما فلا يؤدى إلى خلل فى أحدها على حساب الآخر .

وتكمن العظمة الحقيقية فى شاه ولي الله فى أنه قام بالتفكير جيداً فى الاسباب الرئيسية لتأخر المسلمين وعزا أسباب انحطاط المسلمين وفساد أخلاقهم إلى جهلهم بتعاليم الإسلام وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقيم ثورة عازمة بعد العمل بالشريعة الإسلامية<sup>(٣)</sup>، ولاحظ عدم التوازن فى النظام الاجتماعى للهند، وأكد على رفاهية الفلاحين والحرفيين لأن النظام الاجتماعى المتناسك كان فى ذلك الوقت سندا للنظام السياسى<sup>(٤)</sup> وكان يريد بعض الإصلاحات الفورية، بالإضافة إلى الخطط السياسية التى تحدث تغييرات فى طريق عمل المسلمين ولا تعوقها، وكانت خطته تتضمن أولاً إنقاذ المسلمين وتخليصهم من مخاطر العادات والتقاليد غير الإسلامية التى تصبح بمرور الوقت عرفاً سائداً بين المسلمين بسبب علاقاتهم الاجتماعية المختلفة مع الطوائف الأخرى ولم يكن يريد أن يصبح المسلمون جزءاً من البيئة العامة لشبه القارة الهندية فحسب، بل يريد أن يقيم العلاقات والروابط القوية مع بقية العالم الإسلامى .

ويعتبر شاه ولي الله أول مفكر إسلامى أعطى أهمية أساسية للناحية الاقتصادية ودرس تقدم الامم وتأخرها من هذه الوجهة، ويرى أن أى مجتمع لا يستطيع أن يطبق

(١) شاه ولي الله الدهلوى: حجة الله البالغة ج١، طبعة بولاق، ص ٤٤، ٤٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٣) معين الدين عقيل: تحريك ازادى مين اردو كاحصه، ص ٤٧، ٤٨ - جمال الدين الشيال: الحركات الإصلاحية، ج١ ص ٣٤ .

أيضاً: . Kaleh Ahmed, Shahwaliullah and Indian Politics. P. 145 - 133 .

(٤) عبيد الله سندهى: شاه ولي الله كى سياسى تحريك. ص ٦٣ .

العدل مادامت الجماعات المنتجة فيه تعتمد على الآخرين<sup>(١)</sup>، ويعتبر الفساد الأخلاقي نتيجة حتمية للتدهور الاقتصادي ويقول في «حجة الله البالغة»: إن أى قوم يستمرون فى طريق المدنية والحضارة فإن صناعتهم وحرفتهم تصل إلى أعلى درجة من الكمال، ولكن إذا ركنت الطبقة الحاكمة إلى حياة الدعة والراحة فإن العبء سيزداد على الطبقات العاملة ويعيش أكثر أعضاء المجتمع مثل الحيوانات وتدهور الاخلاق الاجتماعية عندئذ، وإذا واجهوا أى ضائقة اقتصادية فإنهم يعجزون عن حلها<sup>(٢)</sup>.

وشعر شاه ولى الله بضعف الإمبراطورية المغولية والنظام الإقطاعى القديم ولذلك بدأ يتكون عنده البصيرة السياسية وكان يعلم أن النظام الإقطاعى ليست له القدرة على إصلاح الأوضاع الاقتصادية المتدهورة فى عصره ولم يكن هناك فى ذلك الوقت أية طبقة متعلمة يمكن أن تحل محل طبقة الإقطاعيين التى كانت فى نظره من أسباب ضعف الإمبراطورية المغولية ونادى بأن يحل محلهم صغار الإقطاعيين لأنهم كانوا يمثلون قوة ضغط خاصة على سلطة الحكومة المركزية تريد أن تقلص دور الملك وتسلب منه بعض صلاحياته، وشعر شاه ولى الله بأن النظام الإقطاعى ليس جيداً بالإمساك بزمام الحكم، لذا وضع عينيه على طبقة الصناع والتجار الذين كانوا بائسين فى ذلك العصر حتى إذا تهيأت لهم الأوضاع المناسبة انقضوا على طبقة الإقطاعيين وأمسكوا بزمام الأمور<sup>(٣)</sup>.

وقد سلك شاه ولى الله طريق الاعتدال والوضوح فى كتاباته وحاول إثبات التوافق بين التعاليم الإسلامية والحياة الإنسانية وترجم القرآن للفارسية حتى تصل معانيه إلى أفهام الناس بسهولة، وعلى الرغم من أن حركة شاه ولى الله لم تنتشر وتزدهر فى حياته إلا أن أعظم إنجازاته هى بحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى عصره ومحاولة إقامة حكومة إسلامية فدعا أحمد شاه الإبدالى لغزو الهند لتحقيق هذا الهدف فقام أحمد شاه بالقضاء على الحركات الوطنية طبقاً لمقترحات شاه ولى الله، ولكنه لم ينجح فى تغيير العقلية الإقطاعية فضعف الاقتصاد وتدهورت شؤون الدولة خاصة بعد رحيل أحمد شاه، وظهرت العيوب فى نظام الدولة فتمكن الإنجليز من إقامة حكمهم على هذه العيوب، ولم يكن يفكر فى خطر السيخ والمرهتا والزط على قيام الحكومة الإسلامية

(١) عبید الله سندهى: شاه ولى الله كے سياسى تحريك ص ٦٠.

(٢) خلیق أحمد نظامى: شاه ولى الله كے سياسى مکتوبات، ص ١٠.

(٣) معین احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور، ص ٣٧.

فحسب، بل كان يعتبر قوة الإنجليز المتزايدة هي الخطر الاول<sup>(١)</sup>، وبعد وفاة شاه ولي الله خلفه ابنه شاه عبد العزيز (١٧٤٦ - ١٨٢٤م) على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولي الله في عصره، وقد تدهورت الحياة الاقتصادية والسياسية وسيطرت شركة الهند الشرقية على مناطق واسعة من الهند وأصبح المسلمون محكومين وضاعت من الطبقة العليا الوظائف والمناصب والمكيات وضيق الإنجليز على العلماء سبل الرزق، وساءت أحوال الفلاحين بفرض ضرائب جديدة وحاول أولاد شاه ولي الله الآخرين: شاه رفيع الدين وشاه عبد القادر وشاه عبد الغنى، بالإضافة إلى شاه عبد العزيز إقامة حكومة إسلامية التي كانت الهدف الرئيسي لشاه ولي الله، ولكن الإنجليز أعلنوا رفضهم لهذه الفكرة كما رفضها الإقطاعيين، لذلك قام تلاميذ شاه ولي الله بالانتشار في القرى والمدن يدعون إلى ترك البدع واتباع السنة وكانوا يهدفون إلى يقظة المسلمين وتوحيدهم وقام أولاد شاه ولي الله بتأليف الكتب الدينية وبتفسير كتبه وترجم شاه عبد القادر وشاه رفيع القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

وقد انعكس السخط بين المسلمين في الميدان الديني على الجدل الذي ثار بشأن وضع الهند تحت الحكم البريطاني، أعتبر الهند عندئذ دار إسلام أم دار حرب ولم يكن هذا الجدل جديداً فعندما اكتسحت دولة المرهتها مناطق شاسعة من الهند الإسلامية في القرن الثامن عشر ثارت المسألة نفسها، ولكن العلماء في ذلك الوقت رأوا أن الهند لم تفقد وضعها باعتبارها دار إسلام، ولكن الاحتلال الإنجليزي للهند على عكس الحكم المرهتي الذي لم يدخل تغييرات يعتد بها في النظام الاجتماعي للهند<sup>(٢)</sup>، ولذلك وصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة نجاحها عندما أصدر شاه عبد العزيز فتواه الشهيرة<sup>(٣)</sup> عام ١٨٠٣م بأن جميع المنطقة الواقعة تحت الحكم الإنجليزي الممتدة من دهلي حتى كلكتا هي دار الحرب وليس دار الإسلام، ومعنى ذلك أن الإسلام لم يعد السلطة الفوقية في الهند أو على الأقل ليست هناك حرية عبادة على الرغم من أن الإنجليز لا يتدخلون في الشعائر الخاصة بالمسلمين والمسلمون الآن يعيشون في دار حرب يعنى أنهم حرموا من السلطة أو السيادة ولم تسمح لهم الحكومة الإنجليزية بممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة من أجل ذلك فالجهاد ضدها فرض على كل مسلم، ولكن لان الإمبراطور المغولي

(١) معين أحسن جذبي: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث، ص ٦٣.

(٣) شاه عبد العزيز: فتاوى عزيزية (مطبعة مجتباى دهلي) جلد اول، ص ١٦، ١٧.

فى وضع ضعيف، وقد أصبح موظفاً حقيراً لدى الإنجليز ولم يكن للمسلمين أى حركة منظمة تجمع جهودهم فلم تخرج الفتوى بأى رد فعل فورى لكنها ولدت حركة ثورية كان هدفها إقامة الحكومة الإسلامية<sup>(١)</sup> وطرد الإنجليز وهم: « حركة المجاهدين » بقيادة السيد أحمد الشهيد الذى حمل لواء الجهاد والدعوة الإسلامية بعد وفاة شاه عبد العزيز سنة ١٨٢٤م بعد أن أرسى دعائم الدعوة الإسلامية وازدهرت حركة شاه ولى الله على يديه .

## ب - حركة المجاهدين وفكرة الجهاد

فى المراحل الأولى من التوغل الأوروبى فى العالم الإسلامى قاوم المسلمون فى مواقع كثيرة الوضع الجديد بالقوة ورجعوا إلى عقيدة الجهاد فى سبيل تعبئة الجماهير وحشدها وتبريراً وتسويقاً للنضال وتحديد العدو تحديداً دقيقاً ولما كان الحكام الاستعماريون غير مسلمين فقد كانت عقيدة الجهاد ملائمة تماماً لتحقيق هذه الأهداف<sup>(٢)</sup> .

وكانت عقيدة الجهاد إلهاماً لكثير من الحركات التى خاضت النضال المسلح ضد السيطرة الاستعمارية الغربية على معظم أراضى العالم الإسلامى وبصفة خاصة فى شبه القارة الهندية، حيث كان لهذه العقيدة أهمية كبرى فى مقاومة الإنجليز فى الهند<sup>(٣)</sup>، بعد أن استقروا فى البنغال وتوغلوا منها إلى جميع أنحاء الهند فقامت حركات إسلامية فى البنجاب والبنغال على السواء تدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية وطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية وقد اتخذت هذه الحركات وعلى رأسها - حركة المجاهدين - شكلاً منظماً بزعامة السيد أحمد البريلوى<sup>(٤)</sup> .

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٥١ .

(٢) محمد صالح جعفر الظالمى: من الفقه الإسلامى، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧١م، ص ٤٤ .

(٣) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث، ص ٩ .

(٤) ولد السيد أحمد البريلوى سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م فى راي بريلي وحفظ القرآن بها وبإيع شاه عبد العزيز وهو فى الثانية والعشرين وانضم إلى جنود نواب أمير خان والى تونك سنة ١٨١٠م وقضى عنده ست سنوات أكمل فيها تدريباته العسكرية واتقن فن الجندية، وفى سنة ١٨١٦م رحل إلى دهلى وبدأ فى سلسلة إرشاده ووعظه، وقد تأثر فى ذلك بشاه عبد العزيز وحركة شاه ولى الله وقام بتنفيذ أفكاره ونظرياته عملياً وحاول إقامة نظام سياسى مبنى على العدل الاقتصادى ومطابقاً للشريعة الإسلامية، إلا أن أوضاع الهند فى عهده تغيرت كثيراً عنها فى عهد شاه ولى الله ولم تعد الحركة الإصلاحية كافية لنظام الحكم القائم الذى يسيطر عليه الإنجليز وأعوانهم من الشيخ والهندوس، بل ينبغى أن يقوم المسلمون بحركة ثورية لطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية واشتهر بالسيد أحمد الشهيد . (محمد إكرام: =

وكان الشيخ قد أقاموا لهم حكومة قوية في البنجاب ووقف المسلمين عاجزين أمامهم فقام السيد أحمد الشهيد وأعلن الجهاد ضد الشيخ وبايعه شاه إسماعيل ابن اخت شاه عبد العزيز ومولانا عبد الحى صهر شاه عبد العزيز وأصبحا من أخلص أعوانه وقاموا بتكوين حركة المجاهدين سنة ١٨٢٠م، وقام السيد أحمد الشهيد ورفيقاه بالطواف بشرق الهند وجنوبها يدعون المسلمين إلى نبذ العادات والتقاليد غير الإسلامية والتمسك بالشريعة الإسلامية وأشعلوا حماس المسلمين من البنغال حتى دهلي (١).

وكانت حركة المجاهدين تهدف إلى طرد الإنجليز في المقام الأول، يقول السيد أحمد الشهيد إن حربنا ليست ضد الأمراء والحكام المسلمين بل ضد الكفار ومثري الفتن فمنذ عدة سنوات والهندوس والمسيحيين ينشرون المفاسد والمظالم بعد أن سيطروا على أكثر مناطق الهند وبدأت تسود عادات الكفر والشرك وماتت شعائر الإسلام فعندما رأيت هذا الوضع صدمت صدمة كبيرة وانتابني شوق إلى الهجرة، ونشأ في قلبي غيرة الإيمان وفي رأسي حماس الجهاد (٢).

في سنة ١٨٢١م سافر السيد أحمد ورفيقاه مولوى عبد الحى وشاه إسماعيل ونفر من أنصار حركة المجاهدين إلى مكة ووقفوا في كل مدينة وقرية يدعون الناس إلى التمسك بتعاليم الإسلام حتى وصلوا إلى مكة وبايعه بعض العلماء المصريين والبلغار وترجم مولوى عبد الحى كتاب السيد أحمد الشهيد الذى يحتوى على أهداف حركته إلى اللغة العربية، وهناك التقى بعلماء من جميع البلا الإسلامية وخاصة الإمام القاضى (٥) محمد الشوكانى ثم عاد الشهيد إلى الهند فى ٢٩ من أبريل ١٨٢٤م (٣)، بعد أن اطلع على حركة محمد بن عبد الوهاب فى نجد لإحياء الدين وتطهيره من البدع والخرافات ولم يبق أى مصلح هندي بمعزل عن هذه الافكار الوهابية، لكن أفكار السيد أحمد كانت تختلف عن الافكار الوهابية على الرغم من اشتراكهما فى بعض الافكار الإصلاحية (٤).

= موج كوثر، ص ١٥، ١٦، هنتر: بهارج هندستانى مسلمان: ترجمة صادق حسين، بدون تاريخ لاهور ص ١١٨).

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٨٣٦.

(٢) سيد ابو الحسن الندوى: سيرة سيد أحمد شهيد، ص ١١٠.

(٥) تأثر بالمذهب الوهابى كل من الإمام الشوكانى (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ) فى اليمن ومحمد بن على السنوسى فى ليبيا ونستطيع أن نلمس أثر الوهابية عند الإمام محمد عبده.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٢، ٢٣.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٩٢٨.

وبدا السيد أحمد الشهيد العدة للجهاد فى سبيل الله بعد أن اجتذب أعداداً كبيرة من الاتباع من الفلاحين والحرفيين المقهورين فى البنغال وشمال الهند والذين كانوا يعانون من التغييرات الاجتماعية والاقتصادية نتيجة لدخول الحكم الأجنبى وكان الهدف الاستراتيجى الذى يسعى إليه السيد أحمد هو تحرير البلاد من سيطرة الإنجليز وكانت أهم الوسائل التكتيكية فى نظره هى احتلال بعض الأقاليم التى تبعد عن متناول الإنجليز ليؤسس فيها حكومة إسلامية حتى يستطيع أن يخوض القتال لتحرير الهند، وقد بدأ أولاً بمحاربة السيخ بعد أن اتخذ من منطقة الحدود الشمالية الغربية على مقربة من الحدود الأفغانية قاعدة له ولاتباعه ولم يجد أى عوائق من جانب الإنجليز فى أداء مهمته لأنهم كانوا يريدون إضعاف القوتين ليسهل على الإنجليز السيطرة عليهما<sup>(١)</sup>، وقد أحرز المجاهدون عدة انتصارات فى بداية جهادهم ضد السيخ ولكن سرعان ما ظهرت العوائق أمامهم بعد أن نجح السيخ فى صرف حاكم بشاور يار محمد عن مساعدة المجاهدين فحاول وضع السم للسيد أحمد فى طعامه ولكن الله أنقذه من الموت وفى ميدان الحرب قام بتفريق شمل المجاهدين وقامت سلسلة من الحروب بين السيخ وزعماء القبائل وبين حركة المجاهدين ومات مولوى عبد الحى فى هذه الظروف الصعبة، ولكن المجاهدين واصلوا جهادهم حتى انتصروا على السيخ.

وحلفائهم وأقاموا حكومة لهم فى بشاور عام ١٨٣٠، وعين السيد أحمد الشهيد مولوى سيد مظهر على قاضياً على المدينة وبدأ يفصل فى القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية وفرض الضرائب وحارب البدع ولكن زعماء القبائل ضاقوا ذرعاً بهذه الضرائب فقرروا قتل المجاهدين مرة واحدة فى الليل وهجموا عليهم وهم يصلون الفجر وذبحوهم<sup>(٢)</sup> جميعاً فتأثر بذلك السيد أحمد الشهيد وقرر الرحيل إلى كاغان والتقى فى بالاكوت مع جيش السيخ بقيادة شيرسيخ فى مايو ١٨٣١م، الذى حاصر المجاهدين من الجوانب الأربعة بسبب خيانة بعض الجنود وغدرهم حتى أصبحوا فى دائرة وهزموا المجاهدين واستشهد ستمائة منهم وعلى رأسهم شاه إسماعيل الشهيد ومولوى خير الدين وبهرام خان والسيد أحمد الشهيد الذى ظن البعض أنه المهدي المنتظر وأنه قد اختفى إلى حين وعلى المسلمين أن يوحدوا صفوفهم ويقاتلوا الكفار والإنجليز، فسوف

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٥١ - معين احسن جذبى: حالى كامياسى شعور ص ٤٣.

(٢) سيد أبو الحسن الندوى: المرجع السابق ص ١٥، محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٧ : ٣١.

يعود ليقودهم إلى النصر المبين<sup>(١)</sup>.

وقد ترك السيد أحمد الشهيد كتاباً واحداً هو «الصراط المستقيم» وقام رفيقاه شاه إسماعيل ومولوى عبد الحى بترتيبه وندرك منه مدى تفهم السيد أحمد الكامل للمسائل الدينية المختلفة وأنه حاول طرد الإنجليز والقضاء على السيخ ونشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ولم يعارض التصوف مثل الوهابيين ولكن كانت لديه الرغبة فى إصلاحه، وبعد وفاته قام خلفاؤه وعلى رأسهم مولانا ولأيت على وعنايت على بمساعدة بعض مريدى السيد أحمد الآخرين بجمع شتات المجاهدين وتنظيم حركتهم واتخذوا مدينته مركزاً لهم ولاقوا نجاحاً كبيراً فى المناطق الريفية فى بهار والبنغال وقامت جماعة صادق پور - التى أطلق عليها الإنجليز اسم الوهابيين ليصدوا المسلمين عنها - بمساعدات قيمة للمجاهدين فى معسكر تهانة وكان هدفهم إقامة نظام موحد من البنغال حتى إقليم سرحد<sup>(٢)</sup>.

واستمر المجاهدون فى الحروب والمنازعات مع الإنجليز من سنة ١٨٥٢ حتى ١٨٥٧، وكانت الإمدادات تاتى سراً لهم من جميع أنحاء الهند وخاصة بهار والبنغال ليواصلوا الحرب وبعد ثورة ١٨٥٧م التى أبلو فيها بلاءً حسناً ظل المجاهدون يحاربون حتى سنة ١٨٦٨م<sup>(٣)</sup>.

ويقول هنتر: «لقد ظل مسلمو الهند لسنوات يهددون بالخطر الحكومة الإنجليزية فى الهند ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الفئة المتمردة (المجاهدين) التى نالت الحماية والعون من الاكثرية الإسلامية فى غرب الهند إلى أى مدى يمكن أن تنجح تحت قيادة هذا القائد (أى السيد أحمد الشهيد)»<sup>(٤)</sup>.

وقد أثرت حركة المجاهدين على الحياة فى شبه القارة الهندية تأثيراً واضح المعالم وولدت عند المسلمين الإرادة والعزيمة وسط هذا الجو العدائى من جانب الهندوس والسيخ وإنجلترا وكانت حركة المجاهدين أول حركة شعبية خلقت عند المسلمين الإحساس السياسى ولم يكن هدفها إعادة عرش أو أسرة إلى الحكم، بل كان هدفها تحرير

(١) هنتر: همارى هندستانى مسلمان: ترجمة صادق حسين ص ٥٠.

(٢) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور: ص ٤٥.

(٣) هنتر: المرجع السابق: ص ٢٠، ٤٢.

(٤) هنتر: المرجع السابق: ص ٤٥ وعبد القيوم: حالى ارد ونتر نكارى ص ٥٩.

المسلمين من الظلم والعبودية وقد رسموا بدمائهم الذكية معالم طريق المسلمين في الهند .

### ج - الحركات الإسلامية في البنغال :

بعد المحاولات الشجاعة من السلطان تيبو للقضاء على السيطرة الإنجليزية في البنغال والتي وضعها الإنجليز في حسابهم لأهميتها حتى قضت عليه نتيجة للخداع والخيانة من جانب قواده وقامت بريطانيا بنشيت أقدامها في الهند بكل الصور الممكنة فادى ذلك إلى تفجر الحركات الإسلامية التي اشترك فيها المسلمون والمصلحون والمفكرون وقد اعتنقوا فكرة الجهاد ووجهوا انتباههم إلى إصلاح الفرد من أجل إحياء العقائد الإسلامية وكان الجهاد أحد العوامل المؤثرة في معارضة السيطرة الإنجليزية، وقد استمر السيد أحمد الشهيد في رفع زاية الجهاد ضد السيخ والإنجليز في البنجاب حتى استشهد في معركة بالاكوت عام ١٨٣١ بفعل العناصر الخيانية في صفوف حركته والتي كانت سبباً في القضاء على السلطان تيبو من قبل في البنغال .

وكان أهم عمل مشمر للسيد أحمد وخلفائه من بعده أنهم قامو بمد نشاط حركتهم إلى البنغال في الشرق وأقاموا علاقات قوية بينهم وبين المراكز والحركات الإسلامية الأخرى في الهند من أجل إحياء فروض الدين وإقامة شعائره الصحيحة بعد أن كان البنغال بمعزل عن الحركات الإسلامية في شمال الهند وبدت التأثيرات الهندوسية ظاهرة بوضوح في حياة المسلمين هناك بسبب صعوبة الانتقال بين البنغال والبنجاب وتأثير الإقطاعيين الهندوس على حياتهم الاقتصادية، وكان القرن التاسع عشر نذيراً بعودة الحياة الإسلامية للبنغال ونهاية العزلة الدينية للمسلمين بسبب ظهور الحركات الإصلاحية والإحيائية التي قام بها أنصار السيد أحمد الشهيد ومريدوه في البنغال، وكانت أولى حركات المجاهدين في البنغال الحركة الفرائضية<sup>(١)</sup> .

#### ١ - الحركة الفرائضية :

هي أولى الحركات الإسلامية الإحيائية في البنغال وقام بها حاجي شريعت الله ١١٩٥هـ/١٧٨١م - ١٢٥٧هـ/١٨٤٠م، وقد سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع بنفسه على الحركة الإصلاحية في نجد عندما ذهب للحج ١٢١٩هـ/١٨٠٢ حتى أنه أخذ على

(١) محمد إكرام: موج كوثر: ص ٥٧ .

- غلام رسول مهر: اٹھارہ سو ستاون کے مجاہد: ص ٦٣، ٦٤ .

عائقه مسئولية الدعوة إلى إحياء الإسلام والإصلاح الدينى عندما رجع من الحجاز فقام بوعظ المسلمين وإرشادهم، وأكد على أهمية أداء الفرائض الإسلامية ولهذا سميت بالفرائضية أى المهتمة بأداء الفرائض وسمى أتباعها باسم «توبار(\*)»<sup>(١)</sup>، وقد نبذ الفرائضيون التقاليد والبدع والاحتفالات التى ليس لها أى سند فى القرآن والسنة وانتشرت هذه الحركة بسرعة فى مناطق كبيرة فى البنغال ويرجع لهذه الحركة الفضل فى خلق الشعور لدى المسلمين بتفوقهم وسموهم على الهندوس<sup>(٢)</sup>، ومات حاجى شريعت الله عام ١٢٣٦ هـ / ١٨١٦ بعد أن أرسى قواعد هذه الحركة وجاء بعده حاجى محمد ١٢٥٧ هـ / ١٨٤٠ م. فقام بتنظيم الحركة وجعلها أكثر وعياً وأصبح لها فاعلية سياسية واجتماعية كبيرة وأسس المراكز الدينية فى شرق البنغال وكان يعين خلفاءه ورفض دفع الضرائب التى كان الإقطاعيون الهندوس يفرضونها على المزارعين المسلمين وتوفى حاجى محمد ١٢٢٨ هـ / ١٨٦١ م بعد أن وسع من نطاق حركته الإحيائية فى البنغال ونواحيها، ولكنه واجه أثناء قيادته لهذه الحركة عقبات كثيرة وتفاقت الخلافات بين الجماعة الفرائضية وعامة المسلمين عندما أفتت الحركة بأن الهند أصبحت دار حرب ولهذا لا يجوز صلاة الجمعة والعيدين فيها، ومن هنا نشأ الخلاف الذى اتخذ شكل الاضطرابات والقتال فى معظم مراحل وأدى ذلك إلى تركهم للصلاة فى المساجد<sup>(٣)</sup>.

وكانت هذه الحركة فى الأصل حركة دينية بحثت شأنها فى ذلك شأن «الطريقة المحمدية»، تسعى إلى أهداف روحية مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع غير الإسلامية، ولكنها سرعان ما اكتسبت بعداً اجتماعياً محدداً وواضحاً تحت قيادة محمد محسن المعروف باسم «دود وميان» وهو ابن حاجى شريعت الله وذلك أنها أخذت تنظم الفلاحين والحرفيين المسلمين فى نضالهم ضد الإقطاعيين وأصحاب مزارع النيلى من الإنجليز<sup>(٤)</sup>.

وبعثت الحركة الفرائضية الحياة فى الناحية الدينية فى فريد بور ودكاو بارسال، ولكن

(١) محمد إكرام: موج كوثر، ص ٥٧، ٥٨.

(\*) توبار بمعنى تابع أو مرید.

(٢) معين الدين عقيل: تحريك آزادی میں ارد وکاحصه: ص ٤٥، ٤٦.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٥٨.

(٤) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدته الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٦٧.

يؤخذ عليها أنها كانت ذات طابع محلي وهو ما تلافاه السيد أحمد الشهيد في حركته .

## ٢ - حركة تيتومير :

كانت هذه الحركة معاصرة للحركة الفرائضية وأسسها تيتومير المتوفى ١٨٣١م وكانت هذه الحركة على علاقة بحركة المجاهدين في شمال الهند فقد كان تيتومير يخوض نضالاً نشطاً في البنغال الغربية في نفس الفترة التي كان السيد أحمد يخوض قتاله ضد السيخ وكان هدف هذه الحركة في البداية نشر روح الجهاد بين المسلمين ضد الإنجليز وأعاونهم من الهندوس إلى جانب الإصلاح الديني، ثم أخذت صبغة سياسية شعبية وقد جمع تيتومير حوله عدداً كبيراً من الأشباع من الفلاحين والصناع وخاض نضالاً ضد أصحاب مزارع الفيلة الإنجليز والإقطاعيين الهندوس<sup>(١)</sup>، ونالت حركته الشهرة في أوساط عامة المسلمين وقد خلفت فيهم الاعتماد على أنفسهم مما هيا لهم بعد ذلك الحصول على حقوقهم المختلفة بالجهاد ضد الإنجليز الهندوس، وقد أعلنت حركة تيتومير رغبتها في القضاء على الحكم الإنجليزى وإعادة الحكم الإسلامى للهند مرة أخرى، وقد أدى هذا الإعلان من جانب الحركة إلى انتشار الحركات الثورية المختلفة ضد الإنجليز في مختلف أنحاء الهند وكانت نهاية الحركة على يد الإنجليز لأنهم لم يستطيعوا مواجهة جيش منظم ومسلح بأسلحة حديثة في حين كانوا يفتقدون إلى التخطيط المنظم والقيادة العسكرية الواعية فضلاً عن أسلحتهم البسيطة<sup>(٢)</sup>، وهناك مرید آخر للسيد أحمد الشهيد جدير بالاهتمام وهو مولانا كرامت على جونپورى المولود سنة ١٨٠٠م، وكان السيد أحمد قد التقى به أثناء تجواله في أطراف الهند للدعوة والإرشاد وأوكل إليه مهمة الدعوة والإصلاح في البنغال، وقد قضى في هذه المهمة نحو أربعين عاماً وأحدث تغيرات هامة في عادات الناس وظل بمعزل عن حركة المجاهدين ولكنه أفتى فتوى اعترض فيها على اعتبار الهند دار حرب مما أدى إلى ارتياح الإنجليز<sup>(٣)</sup>.

وواصل المجاهدون حربهم للإنجليز في كل مكان وأحيوا عقيدة الجهاد في نفوس المسلمين وبشوا روح الحرية في الجيش المفكك فاشتعلت نيران ثورة ١٨٥٧م التي أراق المجاهدون فيها دماءهم في سبيل الحرية والشهادة وبعد فشلها صب الإنجليز جام غضبهم

(١) قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابى تحريك كلكته، ١٩٦٦، ص ٣٥٨ - ٣٦٣ .

- اودلف بيترز : الإسلام والاستعمار : عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ص ٦٧ .

(٢) معين الدين عقيل : تحريك آزادى مير اردو كاحصه، ص ٤٦، ٤٧ .

(٣) محمد إكرام : موج كوثر ص ٦٠ .

عليهم لأنهم كانوا فى طليعة فصائل الثورة وجردهم من أبسط حقوقهم الإنسانية ومات مرشدهم مولوى عنایت على غازى سنة ١٨٥٨م، ولكنهم وصلوا معارضتهم للإنجليز وعلى رأسهم مولوى يحيى على ومولانا أحمد الله عظيم آبادى ومولانا صفرتها نيسرى فى البنغال حتى اعتقلهم الإنجليز عام ١٨٦٤م وحكمت عليهم بالسجن المطلق واستمرت سلسلة الاعتقالات للمجاهدين حتى عام ١٨٧٢م، وبذلك طويت آخر صفحة فى حياة المجاهدين تلك الحركة الثورية الإسلامية التى عارضت الحكم الأجنبى للهند بعد أن ظلت مصدر قلق الإنجليز ودخلت الهند تحت السيطرة المباشرة للإنجليز وتاج ملكتهم فيكتوريا عام ١٨٥٨م.

وبعد فشل حركة المجاهدين من الناحية العسكرية بدأوا يفكرون فى صعوبة مواجهة الإنجليز بعدم تكافؤ قوتيهما، لذا فكر المجاهدون فى الجهاد الأكبر وهو إصلاح نفوس المسلمين عن طريق نشر المفاهيم الدينية الصحيحة عن طريق الدعوة السلمية فى جميع أنحاء الهند وأنشأوا لهذا الغرض شبكة من المدارس والكتاتيب لتدريس العلوم الدينية والتقليدية ليحافظوا على كياناتهم وامتد تأثيرهم على جميع الحركات الإصلاحية التى قامت بعد فشل الثورة مثل مدرسة ديوبند التى أسسها محمد قاسم نانوتوى والتى كانت تدرس أفكار شاه ولي الله الثورية الإصلاحية.

وقد تأثر السير سيد أحمد خان بهذه الحركة، كما ذكر فى كتابه «آثار الصناديد» كما اشترك فى دروس السيد أحمد الشهيد الوعظية فى المسجد الجامع، ويؤكد حالى أن السير سيد قد تأثر فى المرحلة الأولى من حياته بأفكار مولانا إسماعيل الشهيد وخاصة فيما يتعلق بالتححرر من التقاليد<sup>(١)</sup>.

وقد يصدق رأى حالى هذا على طريقه تفكير السير سيد فى أول حياته، ولكن بعد ذلك حدثت تغيرات هائلة فى أفكار السير سيد حتى أنه اتخذ خطأ معاكساً تماماً لحركة المجاهدين وأفكارهم، وذلك عندما بدأ فى التعاون مع الإنجليز والتقرب إليهم بدعوى إيجاد التفاهم والمصالحة.

وفى الصفحات القادمة سأحدث عن أوضاع المجتمع الهندى بعد الثورة وانعكاس فشلها على المسلمين بصفة خاصة قبل أن تناول حركة على محمد وه محاولة التفاهم والتصالح مع الإنجليز.

(١) حالى: حيات جاويد: ص ٧٧.

## الصراع الأوربي للسيطرة على الهند

كانت البندقية وفرنسا تحتكران التجارة بين الشرق الإسلامي ودول أوروبا فكانت للأولى تجارة البر في بلاد الشام والثانية احتكار تجارة البحر عن طريق نقل هذه التجارة من موانئ مصر وبلاد الشام إلى أوروبا وكانت هذه العلاقات نفسها سبباً من أسباب حركة الكشف الجغرافية إذ كانت المنافسة بين فرنسا وأسبانيا في هذا العصر على أشدها وضاعت البرتغال ذرعاً باحتكار تجار البندقية لتجارة البحر المتوسط فتلمست سبيلاً آخر للاستيلاء على هذه التجارة والوصول إلى منابعها في الهند<sup>(١)</sup>.

وقد تزعمت البرتغال الدفاع عن المسيحية في أوروبا وتجددت فيها الروح الصليبية وازدادت قوة ووصل فاسكو داجاما كلكتا في ٢٧ مايو ١٤٩٨م<sup>(٢)</sup> ويعتبر وصوله لكلكتا نقطة تحول في تاريخ الهند وأوروبا، وقد دفع البرتغاليين إلى الحمى للهند الرغبة في القضاء على الإسلام الذي هدد أوروبا كثيراً، وكذلك الحرص على احتكار تجارة التوابل لكن بعد قيام الثورة الصناعية في بريطانيا أصبح الدافع القوي هو الرغبة في إيجاد أسواق جديدة لتصريف المصنوعات الأوروبية، وكان اهتمام الأوروبيين بالهند في بادئ الأمر مقصوراً على التجارة ولكن في القرن التاسع عشر أصبح بسط النفوذ السياسى في طليعة المطالب وصار الوسيلة المضمونة للاستغلال الاقتصادي<sup>(٣)</sup>.

وقد تبدلت الزعامة الأوروبية في تلك الفترة فانتقلت من البرتغاليين إلى الهولنديين بعد انضمام البرتغال إلى أسبانيا سنة ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠م، فوصلوا إلى الهند سنة ١٠٠٤ هـ / ١٥٩٦م وتكونت شركة الهند الهولندية في مارس ١٠١٠ هـ / ١٦٠٢م<sup>(٤)</sup>، لتشتري منتجات الهند والجزر الهندية الشرقية باثمان بخسة وتبيعهها باثمان مرتفعة في أوروبا<sup>(٥)</sup>،

(١) حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازى القاهرة، ط٢، ١٩٣٨ ص ٤٢.

(٢) H. G. KEENE. Sketch of The History of Hindustan. Deih, idarah - 1972, P. 195.

(٣) على أدهم: الهند والغرب، دار المعارف، القاهرة، (ب. ت) ص ٣٠ - ٣١.

(٤) Dunbar: A History of India from earliest times to the present day. London, i st. (٤) 1936. P. 218.

(٥) وول دبورانت: الهند وجيرانها ص ٤٠٢.

H. H. Dodwell.k M. A, OP. Cit, P. 28 - 58.

فأسسوا شركة الهند الشرقية وكان هوكنز أول سفير لهم في بلاط جهانكير المغولي ونال الإنجليز بالدساتيس براءات منه وسمح لهم بالتجارة في سورات وهو جلى وقد أقاموا المصانع بهما وقد اتسعت أملاك الشركة بالتدريج، ففي عام ١٦٦١م اشترت الشركة مدينة بومباى من البرتغاليين ودخلت مدراس عام ١٦٧٧م وجعلتها مقراً لها<sup>(١)</sup>.

وقد بدأ التغلغل البريطانى فى الهند بمراكز تجارية أصبحت بعد قليل شركات قائمة ثم احتاجت الشركات إلى قوات تحمى متاجرها ومخازنها واتسعت الشركات حتى أصبحت مدناً بأسرها، ثم جاء الفرنسيون الهند عام ١٦٦٤م وكونوا شركة الهند الشرقية الفرنسية للتجارة فى الهند تحت رعاية كلوبير ومساعدة لويس الرابع عشر واستطاعوا فى خلال عشر أعوام أن يقيموا موانئ لهم فى بوند شيرى، و ماهى، و چندرنكره ومدراس<sup>(٢)</sup> وقد اغتنم دوبلكس فرصة وفاة نظام حيدر آباد الدكن فأجلس أحد أنصاره على عرشه ونصب أميراً مالياً على حكومة أركوت وعظم بذلك نفوذ دوبليكس حتى كاد الإنجليز له وتذرعوا بحوك الدساتيس له فى قصر فرساي فاستطاعوا أن يحملوا لويس الخامس عشر على استدعائه وترك جميع ما فتحه وعقد هدنة مع الإنجليز فى سنة ١٧٥٤م<sup>(٣)</sup> وبذلك خلا الجو للإنجليز فحاصروا مراكزهم فى كلكتا ومدراس وبومباى وتدخلوا فى النزاعات القائمة بين الأمراء المحليين وجاءوا بجنود لهم لخوض المعارك ورشت الشركة وارثت للوصول إلى أهدافها فى الهند، واستطاعت أن توطد أقدامها فى عهد «كلايف» ١١٧٠ هـ / ١٧٥٦م ورأى حاكم البنغال الأمير سراج الدولة أن يوقف تدخل الإنجليز فى شئون الدولة فهاجم حصن وليم واستولى عليه فقامت حملة من مدراس بقيادة روبرت كلايف فاستردت حصن وليم وعقدت صلحاً مع سراج الدولة، ولكن كلايف نقض المعاهدة واستطاع بمساعدة أحد الخونة فى جيش سراج الدولة - وهومير جعفر - أن ينتصر عليه فى موقعة بلاسى الشهيرة ١١٧٠ هـ - ١٧٥٧م وأن يقتله ويقيم صنيعه مير جعفر حاكماً على البنغال وعندما خلفه مير قاسم أراد أن يؤكد نفوذه ويسترد البنغال من الإنجليز بمساعدة إمبراطور المغول الضعيف شاه عالم ولكنهم هزموا فى «بكسر» عام ١١٧٨ هـ / ١٧٦٤م واضطر شاه عالم أن يتنازل للإنجليز عن حق

Jaffar. The Mughal Empire, from Babar to Aurangzeb. Ist. 1936. Peshawar. P. 366, (١) 367.

Dunbar. OP. Cit. P. 221.

(٢)

(٣) جوستاف لوبون: المرجع السابق: ص ٢٤٣، ٢٤٤.

الإشراف المالى على البنغال واوريسا وبيهار فى معاهدة عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م وفى عام ١٧٦٧م خلف ورن هستنجز روبرت كلايف على حكم الشركة فأراد أن يثبت مركز الإنجليز فى الأراضى التى استولوا عليها ولكنه اصطدم بقوة المرهتها وسلطان ميسور القوى حيدر على الذى استطاع أن يرد الجيش الإنجليزى بقيادة إيركوت سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ويعد جيش المرهتها ويتحالف مع الفرنسيين، ولكن الجيش الإنجليزى أجبر حيدر على التراجع أمامه وترك السواحل عام ١١٩٥هـ / ١٧٨١م بعد تراجع حلفائه الفرنسيين<sup>(١)</sup> ومات حيدر على عام ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م وخلفه ابنه السلطان تيبو الذى واصل الحرب ضد الإنجليز وفى عام ١٩٩هـ / ١٧٨٥م ترك هستنجز الشركة وخلفه كورانوناليس الذى تحالف مع المرهتها ونظام حيدر آباد على محاربة السلطان تيبو واستطاع أن يدخل بنكلور والتمس تيبو الصلح على أن يتخلى عن قسم من بلاده وفى عام ١٧٩٨م تولى ولزلى حكم الشركة فقام بمحاصرة تيبو فى العاصمة «سرنكاپتم» وحاربه تيبو بشجاعة غير أن أحد قواده وهو «مير صادق» فتح القلعة للإنجليز وخرت تيبو شهيداً فى أرض المعركة وبالقضاء على تيبو تخلص الإنجليز من أقوى عدو لهم وأصبح من السهل السيطرة على الجنوب بعد أن قهروا المرهتها سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م وفى سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م ثم استيلاء الإنجليز على آسام وعلى أركان فى بورما وقامت سلسلة من الحروب بين الإنجليز والسيخ من عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٤٩م، وانتهت بهزيمة السيخ وضم اللورد النبرو البنجاب إلى أملاك الشركة وفى عهد دلهوزى ضمت للشركة مملكتنا حيدر آباد وأوده وبذلك سيطر الإنجليز على جميع أجزاء الهند وقام دلهوزى بإلغاء ألقاب الملوك والأمراء المغول ووجه إنذاراً إلى الملك المغولى بهادر شاه القابع فى قلعة دهلى بأنه سيكون آخر رجل فى الدولة المغولية يحمل لقب الملك وأن القلعة ستؤخذ منه وتحول إلى ثكنة عسكرية<sup>(٢)</sup>، وهكذا استطاعت الشركة فى مدة قرن أن تبسط سلطانها على الهند وتستعبد شعبها وتستنزف ثرواتها، وكان هذا فتحاً للبلاد صريحاً غاشماً كما قال وول ديورانت، وذلك الفتح الذى «دفع بثلاثين مليوناً من الأنفس البشرية إلى أقصى حدود الشقاء» كما قال اللورد ميكالى.

(١) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص ٣٤٨ حتى ٣٥٢.

وعلى آدهم: الهند والغرب، ص ٦٣ حتى ٦٥.

(٢) على آدهم، الهند والغرب ص ٦٦، ٦٧.

- عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص ٣٥٥ وما بعدها.

## الثورة الهندية: حرب التحرير عام ١٨٥٧

ساهمت عوامل عديدة فى ضعف الإمبراطورية المغولية فى الهند ثم زوالها، فقد كان اورنكزيب يريد أن يجعل حدود الهند الطبيعية حدوداً لدولته وكان فى الدكن مملكتان إسلاميتان هما غولكنده وبيجاپور ومملكة هندية ثالثة هى مملكة المهرات وكانت الاخيرة تكاشح الإسلام بالعداوة حتى بلغ من جرأة أحد ملوكها «شيواجى» أن نهب قافلة للحجاج فى سورت فساق إليه اورنكزيب جيشاً فخضع أولاً ثم خرج عليه ثانياً واعتصم بجبال «پوتا» وظل متمرداً يقاتل المغول حتى مات وفى سنة ١٦٨٥م زحف اورنكزيب بجيش جرار إلى الدكن واستولى على مملكتى غولكنده وبيجاپور وأخذ سماجى بن شيواجى أسيراً ثم قتله واستولى على آسام سنة ١٦٦٠م وعلى آراكان سنة ١٦٦٦م ولم تبلغ السلطنة الإسلامية المغولية من القوة والغلبة ما بلغت أيام اورنكزيب فكانت حدودها من كابل إلى آراكان ومن الهيمالايا إلى الكارنات فى أقصى جنوب الهند<sup>(١)</sup>.

ولم تصبح الهند فى قبضة حاكم واحد إلا فى أيام اورنكزيب، وذلك لوقت قصير ولم تدم تلك الدولة المتماسكة زمناً طويلاً فكان موت اورنكزيب نذيراً بانهيار الدولة المغولية فلم يكذب يتوفى حتى وقعت الهند فى الفوضى فأخذ المرهتها والافغان والسيخ والجات والراجپوتيون والأمراء المسلمون فى اقتطاع ممالك مستقلة لهم ولم يبق لخلفاء اورنكزيب سوى سلطة اسمية<sup>(٢)</sup> فقامت دولة حيدرآباد الدكن عام ١٧٢٤م ودولة البنغال ١٧٠٧م ودولة أودھ ١٧٢٤م ولم يبق للمغول سوى دهلى وأگرا والسند وبدأت تتضافر عوامل عدة للنيل من دولة المغول والتمهيد لسقوطها، وتمثلت هذه العوامل التى ساعدت على انهيار الدولة المغولية فى عوامل داخلية وهى خروج طوائف الهند على الحكومة المركزية وشق عصا الطاعة ضدها وكان من أخطر هذه الطوائف طائفة السيخ وهم من الجات البنجابيين<sup>(٣)</sup>، وزعيمهم مصلح دينى يدعى غورونانك ظهر فى القرن التاسع الهجرى وأواخر القرن الخامس عشر الميلادى (١٤٦٩م) واقطعهم الملك أكبر

(١) لوثرروب ستونارد: حاضر العالم الإسلامى ج ٣، ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) جوستاف لوبون: حضارات الهند: ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٣) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ج ٢، ص ١٧٧، ١٧٨.

قطعة أرض في أمرتسار فصارت عاصمتهم الروحية وأصبحوا قوماً أولى بأس شديد فجاسوا في ديار الهند وقام تاسع زعمائهم غور وتيغ بهادر بالخروج علي سلطة الدولة المغولة فقبض عليه اورنكزيب عام ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥م وقتله، ولكنهم عادوا للفتنة مرة ثانية وتعاونوا مع الإنجليز للسيطرة على البنجاب وأذاقوا المسلمين خاصة التعذيب والقتل والتنكيل مما حدا بالسيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين أن يقوم بقتالهم وقاتل الإنجليز لسنوات طويلة حتى اتفقوا علي الفتك بجماعته واستشهد عام ١٨٣١م.

وكانت جموع المرهتها أيضاً من العوامل القوية في ضعف الدولة المغولية فقد أسس «شيواجي» دولة لهم في جبال كهات وسهول كونكن وألف عصابات نشرت الفوضى في الدكن وهددت كيان الدولة في دهلي (١).

وقد قضى اورنكزيب ستة وعشرين عاماً في محاربتهم حتى شاركوا فيما بعد إلى جانب الراجپوت والروهيللا في انهيار الدولة المغولية.

وكان الغزوان الفارسي والأفغاني من العوامل الخارجية التي عجلت بنهاية الدولة المغولة فقد بدأ نادر شاه هجومه على الأراضي الأفغانية التابعة للهند عام ١١٥٠ هـ / ١٧٣٨م وكان محمد شاه قد أهملها منذ سنتين حتى تفشى فيها الفقر والضعف بين جنودها وسقطت في أيدي الفرس بعد خمسة أسابيع، ثم تقدم نادر شاه بعد ذلك نحو البنجاب فسقطت ببشاوور في يده في ستة أيام ثم أحاط بلاهور في شوال سنة ١١٥١ هـ / يناير ١٧٣٩م وقام بتخريب البنجاب (٢).

وبعد الهزيمة التي تلقتها قوات الهند أرسل محمد شاه نظام الملك ليهادن نادر شاه وفي أوائل ذي الحجة سنة ١١٥١ هـ / مارس ١٧٣٩م دخل نادر شاه دهلي لكنه أباح المدينة لجنوده وأشاع القتل الجماعي في الحادي عشر من مارس من نفس العام فاستشهد حوالي عشرين ألفاً وعندئذ أمرهم نادر شاه بالكف وعاد إلى بلاده في ربيع الثاني ١١٥٣ هـ / ١٧٣٩م بعد أن نهب كل ما يستطيع من كنوز وأموال (٣)، وترك الهند وقد خيم

(١) أحمد محمود الساداتي: المرجع السابق، ص ١٨٢، ١٨٥، ٢٢٢.

(٢) مقبول بيگ بدخشاني: تاريخ إيران، ج٢، لاهور، ١٩٧١، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) Dunbar: A History of india from the earliest times to the present day, first published, London. 1936. P. 300, 301.

ولم تكن الهند قد تخلصت من كارثة الغزو الفارسي حتى دق أبوابها غازي جديد جاء هذه المرة من ناحية الشرق، وهو أحمد شاه الإبدالي الذي زحف على الهند عام ١١٦١ هـ/١٧٤٨م وبعد وفاة محمد شاه استغل أحمد شاه الإبدالي هذه الفرصة وهجم على البنجاب واستولى عليها سنة ١١٦٢ هـ/١٧٤٩م وعاس فيها فساداً<sup>(١)</sup> وعاد أحمد شاه الإبدالي إلى بلده عام ١١٧٣ هـ/١٧٦١م بعد أن هزم المرهتها وعين شاه عالم ملكاً على الهند منذ أن بدأت شركة الهند تنفرد بحكم الهند أخذت تفرض على أهل الهند قوانينها الجائرة التي تهدف إلى إفقارهم وزلزلة نظامهم الاجتماعي والتهوين من شأن عقيدتهم وحاولت نشر المسيحية بكل السبل، ومن هنا وجد العلماء ورجال الدين المسلمون ما وصل إليه شأن دينهم فازدادت ثورتهم حدة على الإنجليز ووجدوا الدلائل القوية لشحذ النفوس بالشروة ضدهم وظهرت الحركات المختلفة من أجل إشعال نار الجهاد الوطني وهب علماء المسلمين يدفعون خطر الإنجليز عن طريق الخطب الحماسية التي تدعو المسلمين إلى الوحدة والجهاد ضد الإنجليز امتداداً من شاه ولي الله الدهلوي وشاه عبد العزيز حتى السيد أحمد الشهيد.

ويذكر عشرت رحمانى أن أسباب ثورة التحرير(\*) يرجع إلى ما قام به المجاهدون من نشر الوعي فى مختلف أنحاء الهند فبدأت تتولد نار الجهاد فى قلوب المسلمين على الرغم من ظلم الحكومة الإنجليزية<sup>(٢)</sup>، وقد بدأت المخاوف تزداد بسبب السيطرة الإنجليزية

(١) إعجاز الحق قدوسى: تاريخ سنده. ج٢، ص ٤٣٧ - ٤٣٩.

(\*) لقد تعددت مسميات الثورة الهندية فإذا رجعنا إلى المصادر الغربية نرى أنها تتعنتها باسم «Mutiny» أى التمرد Moreland, Ashort History of India، أو العصيان وثورة السباهى (العسكر) جوستاف لوبون وقد تابع الأوربيون بعض الكتاب المسلمين ومنهم السير سيد أحمد خان الذى أطلق على الثورة اسم: بغاوت أى التمرد أيضاً، أما المصادر الأردية الأخرى فإنها تتسمك باسم «جنگ آزادى» أى حرب التحرير كما يسميها عشرت رحمانى، ولكن كلمة بغاوت قد كثر استخدامها تقليداً للسير سيد، وعلق الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه «تاريخ الإسلام فى الهند على ذلك بقوله «لقد سمي الإنجليز أهل البلاد الذين يقفون ضدهم «بغاة» هكذا بلا حياء وسرت هذه الكلمة مع سريان حكمهم فى البلاد فاستعملها أهل الهند وسموا أنفسهم بغاة كما سماهم الإنجليز» علماً بأن البغاوة هى الخروج على السلطان الشرعى بدون وجه حق، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حق تفىء إلى أمر الله. سورة الحجرات آية: ٩.

(٢) عشرت رحمانى: ١٨٥٧ كى مسلمان مجاهد، ص ٨٢٧.

وبدأت جميع الطوائف تفكر فى أنهم سوف يفقدون عاداتهم وتقاليدهم وحريرتهم الدينية وخاصة أن الحكومة الإنجليزية كانت تشجع حركة التبشير ونشر المسيحية بالقوة، كذلك سوء الأحوال الاقتصادية المتدهورة، حيث اضطهدت الحكومة الإقطاعيين وتسلب الإقطاعيون بدورهم على الفلاحين واستأثر الإنجليز بالمناصب العليا ولم يعد للهنود وظائف سوى بعض الوظائف الحقيرة إلى جانب العمل فى الجيش الإنجليزي وكانت تدر راتباً قليلاً جداً وراجت الرشوة وانتشرت البطالة وكان الحكام يعيشون بعيداً عن الرعية وواجهت الأسر العريقة ظروف الحياة الصعبة وأصبحت الطوائف المتوسطة والفقيرة بنكسة خطيرة فى نظامهم الاجتماعى وقام الإنجليز بالسيطرة على جميع الولايات والأقاليم الهندية وقاموا بعزل سلطان أودھ وتنحية الأمراء المسلمين والراجاوات الهندوس من مناصبهم وأصبحت سلطة المغول فى دهلى اسمية وكان بهادر شاه ظفر (آخر ملوك المغول فى الهند) يسكن القلعة الحمراء وليس له أية سلطة فقد كان يتلقى راتبه من الإنجليز وكان يخضع فى كل أموره للأوامر الإنجليزية، وقد تبرم الأمراء والرؤساء وأصحاب النفوذ من السلطة الإنجليزية وأعلنوا عصيانهم، وكان الإنجليز يعتمدون على الجيش فقط وعلى الرغم من قلة عدد الجنود الإنجليز إلا أنهم كانوا يعتمدون على الجيوش المحلية المنتشرة فى جميع أنحاء الهند وكانت مصدراً لقوتهم وبدونها لا تستقر سلطتهم، لكن الضباط الإنجليز كانوا يوجهونها لصالحهم وكان سلوكهم شنيعاً مع الجنود، حتى قام الجنود المسلمون والهندوس بالشكوى من سوء معاملتهم من قبل هؤلاء الضباط الذين يتدخلون تدخلاً سافراً فى عاداتهم القومية والدينية لذلك عم السخط عليهم بسبب اضطهاد الإنجليز لهم وإجبارهم على استعمال دهن الخراطوش التى تعتبر محرمة فى أديانهم (فدهن البقر محرر على الهندوس تحريم دهن الخنزير على المسلمين) وبذلك ازدادت معارضة الهنود للإنجليز.

وقد زاد النفوس اشتعالاً ما أقدم عليه دلهوزى من اعتقال واجد على شاه ملك آودھ وضم بلاده للشركة عام ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م.

وقد بدأت الثورة فى معسكر «ميرت» يوم ١١ مايو ١٨٥٧ م حينما صدرت الأوامر للجند باستعمال خراطيش الرصاص عن طريق قضمها بالفم فتذمر الجنود وعصوا الأوامر لأن هذه الخراطيش كانت مدهونة بشحم الخنزير والبقر وهما محرمان على المسلمين والهندوس، فقام الإنجليز بالحكم على عدد منهم بالسجن وتفننوا فى تعذيبهم وكان

ذلك يوم ٩ مايو وفى اليوم التالى ثار الجنود فى معسكر ميرت على رؤسائهم يقتلون ويدمرون ثم زحفوا إلى دهلى وفى يوم ١١ مايو حاول الجيش الإنجليزى صدهم عن دهلى ولكنهم هزموه ودخلوا دهلى وتجمع آلاف الجنود الثائرين من المسلمين والهندوس واختاروا الملك المغولى الكهل بهادر شاه قائداً لهم ورمزاً للثورة بعد أن رضيت عنه جميع الطوائف فانضوى المرهتها والهندوس والمسلمون تحت راية الحرب وقد جعل بهادر شاه قيادة الثورة لبعض أبنائه مثل «ميرزا مغل» و«خضر سلطان» وقاد المدفعية «بخت خان» وانقض الأهالى على الإنجليز مع الجنود فى كل مكان وأثاروا فيهم الرعب، ولكن الإنجليز استطاعوا أن يحتوا هذه الثورة ويقمعوها بعد أن ظهرت بوادر الفشل على هذه الثورة نتيجة سوء التخطيط وعدم تنظيم صفوف الثوار، بالإضافة إلى أن قادة الثورة لم يكن لديهم تجربة فى قيادة الجنود فادى ذلك إلى ظهور عناصر فاسدة فى صفوف المجاهدين قامت بالنهب والتخريب وقد قوبل ذلك بتخطيط منظم دقيق من جانب الإنجليز، ووقوف السيخ وبعض رجال القلعة مثل ميرزا الهى بخش فى جانب الإنجليز مما دفع الملك إلى ترك القلعة هو وأهله وذهبوا إلى مقبرة «همايون» خارج دهلى طلباً للحماية فكان لهذه الخطوة تأثيرها السىء فى نفوس الثوار، حيث دب الذعر والخوف فى قلوبهم فما لبث الإنجليز أن سيطروا على الثورة فى ١٩ سبتمبر من نفس العام بعد أن استمرت أربعة أشهر.

وكان المسلمون هم قادة الثورة فتحملوا النصيب الأكبر من الظلم الذى بدأه الإنجليز بالقبض على بهادر شاه ظفر وزوجته وأولاده وقام الإنجليز بقتل «ميرزا مغل» و«ميرزا خضر» و«ميرزا أبو بكر» وحكموا فى يوم ٢٧ يناير ١٨٥٨م على بهادر شاه بالنفى إلى رانجون فى بورما بتهمة قيادة فصائل الثورة فرحل إلى بورما فى ١٧ أكتوبر ١٨٥٧م، وفى أول نوفمبر سنة ١٨٥٨، أعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننج حاكماً عاماً للهند تحت سلطة التاج، ثم تفرغ الإنجليز بعد ذلك لإذلال الهنود وخاصة المسلمين الذين أذاقوهم من ضروب الانتقام والتنكيل مما لا يتسع المجال لسرده.

وفى الصفحات القادمة سأحاول أن أتناول مجتمع ما بعد الثورة من الناحيتين الاجتماعية والفكرية لنرى التغييرات التى أحدثها الإنجليز فى المجتمع الهندى.

## الإنجليز والمسلمون بعد فشل حرب التحرير عام ١٨٥٧م

كان الإنجليز يعرفون جيداً أن عليهم - قبل أن يثبتوا أقدامهم في الهند - محاربة المسلمين وكسر شوكتهم لأنهم كانوا يمثلون خطراً كبيراً عليهم ولا يستطيعون حكم الهند باطمئنان دون القضاء عليهم وكان لهذا العداء من جانب الإنجليز للمسلمين جذور قديمة قبل الثورة ولكنه ازداد حدة بعدها<sup>(١)</sup>، يقول ديوك أف ولنجت بعد حرب غزنها وكابل عام ١٨٤٢م «لقد ثبت جيداً أن المسلمين الذين عاشوا عيلة علينا يبغضوننا من قلوبهم على عكس الهندوس الذين أظهروا فرحهم بانتصارنا». وفي سنة ١٨٤٣م، اعترف حاكم الهند اللورد النبرا بذلك حيث قال إننا «لا نستطيع أن نتغاضى عن هذه الحقيقة وهي أن المسلمين هم أعداؤنا الأصليون لذلك فخطتنا هي التقرب من الهندوس». لذلك بدأ الإنجليز في الاستعداد للتقرب من الهندوس والهندوس تهيأوا للإخلاص والوفاء لهم وزاد عداء الحكومة للمسلمين وكراهيتهم لهم وأصبح المسلمون عاجزين<sup>(٢)</sup> أمامهم واستمرت خطة عداء المسلمين منذ ذلك الوقت حتى عام ١٨٧٠م، ولكن هذا العداء تضاعف بعد أحداث ١٨٥٧م بعد أن جعل الإنجليز مسئولية الثورة كاملة على المسلمين دون غيرهم من الطوائف الأخرى الذين شاركوهم هذه الثورة وبدأوا في تنفيذ سلسلة من الإجراءات الانتقامية ضدهم وأصبح المسلمون مرفوضين من قبل البلاط الإنجليزى، وحدث تغيير هائل فى الهيكل الاجتماعى للهند نتيجة نهب الإنجليز لكنوزها وثرواتها حتى واجهت الهند المجاعة والإفلاس، وفى أثناء اندلاع الثورة قدر الإنجليز أهمية الولايات والحكومات المحلية وخطرها عليهم فقام اللورد كيننج بضم الكثير من هذه الولايات بعد الثورة إلى الحكومة الإنجليزية كما ساعدوا على تكوين طبقة من الإقطاعيين والعُمد وترعرعت هذه الطبقة فى ظل الإنجليز الذين كانوا يهدفون من ذلك أن تظل هذه الطبقة على ولائها لهم وبالتالي تصبح عقبه كثودا فى سبيل حرية الهند لأنهم سيفقدون امتيازاتهم فى ظل هذه الحرية<sup>(٣)</sup>، وسيطر الإنجليز على اقتصاد الهند فى تلك الفترة وأصبحت سوقاً محتكرة لتجارتهم وكانت مزارع الشاى والصمغ

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٢٦.

(٢) معين احسن جذبى. حالى كاسياسى شعور ص ٣٠.

(٣) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٢٢.

الهندي والبن والنيلة تُمول من الرأسماليين البريطانيين، وشجع الإنجليز بعد الثورة إقامة الأوربيين وسهل اللورد كيننج حصولهم على الأرض بإصدار قانون سماه «قانون الأرض البور» وبموجب هذا القانون أعطيت للأوربيين مساحات واسعة من الأرض في تلال الهند لتمكينهم من الإقامة في جو أكثر ملاءمة لهم وأدى ذلك إلى تكوين مستعمرات زراعية في آسام وبهار ونيلجرسى وجاء بعض أصحاب زراعة النيلة من الأوربيين من جزائر الهند الغربية واستغلوا المزارعين أسوأ استغلال وأذلهم واستعبدهم وكانت الحكومة تتفاوضى عن ذلك لأن هذا الاستغلال الفظيع كان لصالح رأس المال البريطاني<sup>(١)</sup>.

وكان المجتمع الهندي ينقسم إلى طبقتين قبل الاحتلال الإنجليزي، الأولى تضم أهل العلم وأهل الدين وأهل المال والأقطاعيين والثانية تضم الحرفيين والصنّاع وعندما جاء الإنجليز حصلوا هذا النظام واتبعوا سياسة تفريق الجماعات المختلفة حتى تضعف نفوذها واتبعت في ذلك خطتها الشهيرة «فرق تسد» كما يقول السير جان مينرد: إن الحكومة الإنجليزية لا تستطيع أن تقوم وتستقر إذا لم يوجد تفرقة ظاهرة بين المسلمين والهندوس<sup>(٢)</sup>.

وبعد فشل الثورة تلاشت السلطة السياسية الباقية للمسلمين وانعكس هذا التحول السياسى على تدهور الأوضاع الاقتصادية والحضارية لهم ووقع المسلمون فى شرك الاحساس بالدونية والضآلة وانتشر فيهم الفقر والمرض والجهل ولم يعد هناك أى عمل يمارسونه ولم يبق هناك تصور واضح ومحدد لمستقبلهم بعد أن فترت همهم ونضبت ملكات الفهم ومواهب التفكير لديهم وتراجعت قيمهم الأخلاقية والحضارية الموروثة أمام الأفكار والنظريات الغربية وأصبحت سحب اليأس والقنوط مخيمة على كل مكان وأصبح شبح الموت يحرم على أى شخص يخالف الإنجليز ولو مخالفة بسيطة<sup>(٣)</sup>، وحكمت بريطانيا الهند بقوة السيف وزادت وظائف الضباط الإنجليز ولكنها كانت فى الغالب أعمالا مكتتبية وبدأ الهندوس فى العمل فى المكاتب الحكومية عند الإنجليز بعد أن اتقنوا اللغة الإنجليزية وتضاعفت أعداد التجار الإنجليز ونشط المبشرون ويقول

(١) على أدهم: الهند والغرب. ص ٨٥، ٨٦.

(٢) معين أحسن جذبى: المرجع السابق: ص ٢٨.

(\*) اللورد كيننج حاكم الهند فى سنة ١٨٥٦ - ١٨٦٢.

(٣) محمد أكرام سانجوى: حالى وأكبر كاخصوصى مطالعة ص ٣٠٢.

غارسان دى تاسى» لم تسمح حكومة الشركة لفترة من الزمن بمجيئ المبرشرين المسيحيين إلى الهند فقد كان في تصورهم أن الهندوسى لن يتخلى عن دينه وأن التعرض له والسخرية منه ليس فى صالحها لكن الحكومة الإنجليزية غيرت هذه الخطة وأعطت الحرية التامة لهؤلاء المبرشرين، وكانت الحكومة تحافظ على حقوق الهنود الذين تحولوا بدينهم إلى المسيحية ولم تسمح لأحد بالتعرض لهم<sup>(١)</sup>.

قام الدكتور وليم هنتر W. W. Hinder عام ١٨٧١م بتصوير المجتمع الهندى على أكمل وجه فى كتابه "Our indian Mosulmans" أى مسلمو هندا والذى يعد من الكتب الموثوق بها فى هذا الصدد ويعد الكتاب الوحيد الذى صور بدقة أحوال المسلمين بعد فشل الثورة بعد أن كانت مجهولة لدينا وقد كتب هنتر هذا الكتاب بإيعاز من اللورد ميو Lord Mio وكان اللورد ميو مهتم اهتمام خاص بإدخال التعليم الإنجليزي ونشره بين المسلمين وأراد أن يعرف ما هى الأسباب التى تجعل المسلمين يكرهون الإنجليزية وما السبيل إلى ارضائهم فكان هذا الكتاب الذى يقع فى أربعة أبواب قام فيه هنتر ببحث الأوضاع الاقتصادية للمسلمين فى الهند وذكر شكاوى المسلمين العديدة من الحكومة الإنجليزية يقول: «إن المسلمين يتهموننا دائماً بأننا أغلقنا أمامهم جميع أبواب الحياة الكريمة، ويتهموننا بأننا حاولنا نشر التعليم الإنجليزي وهو غير مفيد للمسلمين وسبباً من أسباب ذلهم وخضوعهم، وأنا قمنا بعزل القضاة المسلمين وحكمتنا على آلاف الأسر بالفقر على أن أكبر ذنوبنا فى نظرهم هو أننا استعملنا أوقاف المسلمين فى أشياء غير لائقة بها، وعلاوة على هذه التهم التى نعرفها بسهولة هناك العديد من التهم والشكاوى التى أساسها عاطفى بحت والتى ربما لا ترد على عقول الإنجليزي»<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول هنتر مصوراً حالة الثراء والعظمة التى كان المسلمين يعيشون فيها قبل مجيئ الإنجليزي ثم ما آل إليهم من ذل ومهانة بعد استيلاء الإنجليزي على الهند وزوال سلطة المسلمين: - «إذا أراد أحد الساسة فى مجلس العموم أن يتولد لديه الشعور بالهيبة والرغبة فيكفيه أن يحكى بصدق أوضاع مسلمى البنغال الذين كانوا يعيشون فى قصور فخمة ويركبون العربات التى يجرها الخيول وعندهم الخدم لكن الآن انقلب الحال وصاروا

(١) غارسان دى تاسى . مقالات غارسان دى تاسى . حصة دوم (الترجمة الأردية) ص ١٨٥ .

(٢) هنتر: همارسه هندوستانى مسلمان . ترجمة صادق حسين . لاهور . ١٩٦٢م، ص ٢١٩، ٢٢٠ .

يعيشون في منازل مهتدمة ولهم دخل متواضع وازداد وقوعهم في مستنقع الاستدانة يوماً بعد يوم حتى قام دائنهم يرفعون دعاوى عليهم واستولوا على منازلهم وأراضيهم وكانت نهاية للأسر المسلمة العريقة<sup>(١)</sup>. وقد صور حالي الوضع الاجتماعي للمسلمين بعد الثورة في مقدمة مسدسه «مسدس حالي» وقد أطلق حالي على الثورة اسم «عتاب ذو الجلال»، يقول: «أصبحت حالة القوم متردية للغاية وصار العزيز ذليلاً ومرغت كرامة الشرفاء في التراب وكانت نهاية للعلم، فلم يبق من العلم سوى اسمه ومن الدين سوى رسمه وتفتت المجاعات وعشش الفقر على كل منزل وفسدت الأخلاق وخيمت سحب التعصب السوداء والكثيفة على المسلمين وتقيدوا باغلال العُرف وبقيود التقاليد وعم الجهل وتسلطت البدع علي رقاب العباد وأصبح الأمراء المسلمون غافلين عما يدور حولهم من مؤامرات، غير مكترئين بها، والعلماء الذين يُعول عليهم في إصلاح المجتمع كانوا يجهلون ضروريات العصر ومقتضياته»<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول هنتر: «في الحقيقة عندما وقعت هذه البلد (الهند) في قبضتنا كان المسلمون على رأس جميع القوميات الأخرى، وكانوا علياً القوم ولم يكن تفوقهم هذا ناتجاً عن شجاعتهم وقوة جأشهم فحسب بل كانت لديهم ملكة المهارة السياسية والإدارية وعلى الرغم من ذلك أغلقت الحكومة أمامهم جميع الوظائف الحكومية والمناصب الرسمية وغير الرسمية وذكر هنتر بعد ذلك أسباب العداوة بين الإنجليز والمسلمين فقال: إن الحكومة الإنجليزية منعت عنهم الوظائف الهامة مثل الجيش والبوليس والقضاء والمكاتب الحكومية وكانت هذه الإدارات مصدر رزق المسلمين ولكن الإنجليز قضوا على هذا المصدر بالإضافة إلى استيلاء الحكومة على الحرف غير الحكومية الأخرى مثل الطب والمحاماة وكانتا حكراً على المسلمين دون غيرهم وبدأ الإنجليز في نشر الطب الغربي تدريجياً»<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول هنتر: «لقد سلبت جميع الوظائف العليا والدنيا من المسلمين بالتدريج وأعطيت للقوميات الأخرى وبالأخص للهندوس، ووصل اضطهاد المسلمين لدرجة أن الإنجليز كانوا يعلنون عن وظائف المسلمين في المجلات الحكومية في مكان منفصل علانية وعندما تنفذ هذه الوظائف في أيام محدودة من الإعلان فإن الحاكم الإنجليزي يقول إننا

(١) المرجع السابق. ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) حالي: مسدس حالي. المقدمة ص ٦.

(٣) هنتر: المرجع السابق ص: ٢٢٥ - ٢٢٦.

لن نعطي هذه الوظائف لأحد قط سوى الهندوس، وقد عقد هنتر مقارنة بالأرقام بين المسلمين والسيخ والهندوس بالنسبة لتولى الوظائف والمناصب الحكومية ويتضح من هذه المقارنة مدى الظلم الذي لحقه الإنجليز بالمسلمين حتى جاء حين من الدهر لم يكن نصيب المسلمين من هذه الوظائف سوى بعض الحراس والسعاة<sup>(١)</sup> والخدم<sup>(٢)</sup>.

وفي النهاية اضطرت الحكومة الإنجليزية إلى تغيير خطتها عام ١٨٧١م مع المسلمين بعد أن كشف هنتر لها أسباب هذا العداء وبدأت مرحلة من التعاون والتفاهم بين الإنجليز والمسلمين وهدأت نغمة الجهاد بعد أن استصدر الإنجليز عدة فتاوى موقع عليها من علماء مكة بالذات لمكانتهم<sup>(\*)</sup> في نظر المسلمين في الهند للقضاء على فكرة الجهاد وإبطال فتوى شاه عبد العزيز الشهيرة والتي أفتاها عام ١٨٠٣م، ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الإنجليز، وصدرت فتوى من بعض علماء الهند في سنة ١٨٧٠م تنادى بالتعاون مع الإنجليز، وبدأت الحكومة الإنجليزية في التعاون مع العلماء الذين يعتبرون الجهاد غير جائز شرعاً مثل مولوى عبد اللطيف خان في كلكتا والذي تعاون مع الإنجليز وكان في طليعة المدافعين عن التعليم الإنجليز وأيضاً هناك أحد مريدي السيد أحمد الشهيد في البنغال هو مولوى كرامت علي جونپوري الذي أفتى بأن جهاد الإنجليز غير جائز، على أن أهم الشخصيات التي تعاونت مع الإنجليز وبدأت صفحة جديدة من العمل القومي للمسلمين كان السير سيد أحمد خان.

وفي الصفحات القادمة سأحدث عن حركته المعروفة على كثر هـ من الجانب السياسي والاجتماعي وسأرجى الحديث عن جوانبها الثقافية والتعليمية للجزء الخاص بالحياة الفكرية.

(١) المرجع السابق ص ٢٢٠.

(٢) الشيخ محمد إكرام. موج كوثر. ص ٧٥ - ٧٦. وعبد القيوم. حالي كى ارد ونشر نكارى. ص ٢٧. ومحمد اكرام سانپوى. حالي وأكبر كاخصوصى مطالعه ص ٣.

(\*) شاه عبد العزيز: شاة عبد العزيز الدهلوى هو ابن شاه ولى الله الدهلوى المحدث والمصلح السياسى والدينى ولد سنة ١٧٤٦م، وتلقى تعليمه الأولى على يد أبوه فى مسجد دهلى الجامع فتعلم العلوم الدينية كالفقه والحديث وحفظ القرآن الكرم وفي سنة ١٧٦٢م توفى أبوه شاه ولى الله فخلفه على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولى الله على عهده وكان هدف شاه عبد العزيز مثل أبيه أن يقيم الحكومة الإسلامية وقد ظل يجاهد لتحقيق هذا الهدف سبعين عاما إلا أن الإنجليز أعلنوا رفضهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فأصدر فتوى فحواها أن جميع المنطقة الواقعة تحت حكم الإنجليز والممتدة من دهلى إلى كلكتا هى دار حرب وليست دار إسلام، ومن أشهر كتبه كتاب: «فتح العزيز» وتوفى عام ١٨٢٤م. (معين أحسن جذبى، حالي كاسياسى شعور ص ٤١، ٤٢)

## الحركة الثانية : حركة علي گرط هـ

بعد أن انتهت فعالية « حركة المجاهدين » عسكريا عام ١٨٧٢م بعد سلسلة الحروب المستمرة التي خاضتها ضد الإنجليز ومعارضة حكومتهم في الهند، ظهرت حركة جديدة تدعو المسلمين للتعاون مع الإنجليز وعرفت هذه الحركة باسم « حركة علي گرط هـ » وراود هذه الحركة السير سيد أحمد خان .

وقد رأى السير سيد سلطة الإنجليز المتزايدة فتيقن منذ البداية أن سلطة حكومة بهادر شاه المحدودة داخل أسوار القلعة في طريقها إلى الزوال وأن الإنجليز هم الذين يحكمون الهند فعليا وسوف تستمر دولتهم ولم تغب عنه هذه الحقيقة حتى في أحلك الظروف في أثناء اندلاع ثورة ١٨٥٧م عندما تزلزلت دعائم الحكومة الإنجليزية نفسها في الهند وعلى حد قول حالي فإن الجانب العقلي كان يتغلب على طبيعته وتفكيره<sup>(١)</sup> .

وعمل السير سيد<sup>(٢)</sup> موظفا لدى الإنجليز وكان يرى أيام الثورة أن المسلمين ليس لهم أى قوة يستطيعون بها مواجهة الإنجليز وبعد الثورة حدثت تغييرات سياسية وحضارية هائلة لم يكن لها مثيل من قبل في تاريخ المسلمين في الهند فقد أصبحوا محكومين وبدأوا يواجهون مرحلة الدفاع للبقاء فلم تكن ثورة ١٨٥٧م مجرد ثورة قام بها العسكر بل كانت بركانا اجتماعيا متفجرا غير الخريطة الاجتماعية لشبه القارة الهندية .

وبدأت المنافسة بين الطوائف المختلفة داخل الهند وبدأوا يتقربون للإنجليز وخاصة

(١) معين احسن جذبي : حالي كاسياسى شعور ص ٥٣ .

(٢) ولد السير سيد أحمد خان في دهلى عام ١٨٨٧م، وكان أبوه ميرتقى من مريدى شاه غلام على صاحب الطريقة النقشبندية وكان المسلمون في ذلك الوقت يعيشون حياة بائسة يخيم الياس على جنباتها ومع ذلك كانت دهلى حيث تربى السير سيد تغص بمشاهير العلوم والفنون بالرغم من تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية والأخلاقية فيها، وتلقى السير سيد تعليمه الأولى طبقاً للتقاليد القديمة فقرأ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحشر مجالس الوعظ التي كان السيد أحمد الشهيد يلقبها في المسجد الجامع وقد أحدثت وقائع ثورة ١٨٥٧م انقلابا في حياته فقام بدراسة أوضاع المسلمين وقارن بين تقدم الإنجليز وتأخر المسلمين . وقد منحته الحكومة « الإنجليزية لقب « SIR وتوفى عام ١٨٩٨م .

(حالي : حيات جاويد ص ٢٢ ، ٢٣) .

- محمد اكرام : موج كوثر ص ٧٨ - ٧٩ .

- عبد القيم : حالي كى ارد ونشر نكارى ص ٢٣ - ٢٤ .

الهندوس والسيخ وبدأ المسلمون يفكرون فى الحفاظ على دينهم ولغتهم وحضارتهم ولم تكن لديهم أى خطة لذلك<sup>(١)</sup>، وقرر السير سيد الهجرة إلى مصر حيث قال «لم أكن أتصور فى ذلك الوقت أن يأتى على قومى يوم يستطيعون أن ينالوا فيه عزتهم وتحسن أحوالهم». ونستطيع أن نقدر حالة المسلمين المتردية من قول السير سيد هذا، ولكن السير سيد غير رأيه فى الهجرة وقرر أنه «ليس من الشهامة والرجولة أن أترك قومى فى هذا الوضع الصعب وألتمس لنفسى العافية والسلامة، لا، يجب أن أبقى لأشاركهم فى هذه المصيبة وأعقد همتى وعزمى لإبعاد هذه المصائب عنهم<sup>(٢)</sup>»، لذلك قام السير سيد بمحاولة مد جسور التعاون مع الإنجليز ولينهى العداء الذى يعتمل فى قلوب الإنجليز تجاه المسلمين، وكان سبيله إلى ذلك تقديم تفسير جديد لنظرية الجهاد المسيطرة على تفكير الحكومة الإنجليزية يرضى بها ميولهم وتكون بمثابة بداية عهد جديد من العلاقات بين المسلمين والإنجليز فقال: إن الجهاد غير مباح إلا فى حالة القهر الصراح أو الحيلولة بين المسلمين وممارسة شعائر دينهم مما يضر بأسس بعض أركان الإسلام، ولما كان البريطانيون يكفلون الحرية الدينية فليس هناك من الشروط ما يبرر الجهاد ضدهم أما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت الهند دار حرب أم دار إسلام فيرى أنه يمكن وصفها بالوصفين كليهما وإن كان من الأوفق أن تسمى بدار الأمان<sup>(٣)</sup>. ثم قام السير سيد ومولانا جراغ على بتمسيح نظرية الجهاد حتى يقنعوا الإنجليز أن الإسلام دين سلمى أساسا وأن الهنود المسلمين يمكن أن يكونوا رعايا مخلصين للامبراطورية البريطانية وعلى ذلك فإن الطبقات الوسطى والعليا من المسلمين التى كانت تعتمد فى كسب قوتها إلى حد كبير على الوظائف الحكومية روادتها الآمال فى تحسين علاقاتها بالإنجليز<sup>(٤)</sup>. وكتب السير سيد بعد ذلك رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب الثورة الهندية كشف فيها أسباب الثورة الحقيقية وبرأ المسلمين من تهمة اشعالها ثم كتب رسالة أخرى رد فيها على كتاب هنتر «مسلمو هندا» وكان هنتر قد ذكر فى كتابه هذا أن المسلمين لن

(١) عبد القيوم، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) محمد أكرام. موج كوثر: ص ٧٧.

(٣) رودلف بترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٧٠.

(٤) رودلف بترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٧٢.

يكونوا رعية صالحة خاصة للإنجليز ما داموا متمسكين بالقرآن<sup>(١)</sup>. وقد رد السير سيد تدهور أحوال المسلمين إلى سببين، الأول: نقص التعليم لديهم والثاني: عدم الاتحاد والامتزاج بالإنجليز الذى سلطهم الله عليهم وتفاقم الكراهية والبغضاء بينهما لذلك أكد السير سيد على المصالحة مع الإنجليز والتعليم والتربية من أجل صالح المسلمين، وكان يعرف جيداً أن أى حكومة لا يمكن أن تستمد سلطتها بقوة السيف بل من الضروري أن تنشأ عاطفة الألفة بين الحاكم والمحكوم التى هى فى نظره أساس الحكم ويترتب على ذلك حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية وقد قضى السير سيد طيلة عمره يعمل بهذه النظرية ويحاول التقرب من الإنجليز حتى يظفر المسلمون بالوظائف والمناصب العالية التى يمكنهم عن طريقها الحصول على حقوقهم السياسية<sup>(٢)</sup>، وقام السير سيد فى سبيل هذه المهمة بتشبيه الهند فى إحدى خطبه «بالزوجة التى يريد أن يزوجها بالأمة الإنجليزية وطبقاً لتصوره فإنه «من أجل صالح الهند يجب استمرار الحكومة الإنجليزية»<sup>(٣)</sup>، أو يدوم هذا الزواج السياسى. ونلاحظ أن فكرة السيد سيد هذه كانت مطابقة لفكرة رائجة فى العالم الإسلامى آنذاك.

وقام السير سيد بالعمل الوطنى من أجل جميع طوائف الهند فأقام مدرسة «غازى پور» «المجتمع العلمى» واشترك فيها الهندوس جنباً إلى جنب مع المسلمين، ولكن أثناء إقامته فى بنارس وقعت حادثة جعلته يغير من وجهة<sup>(٤)</sup> نظره «حيث قام الهندوس بحركة مطالبين فيها بايقاف التعامل باللغة الأردية والخط الفارسى فى جميع المحاكم والإدارات الحكومية والاستعانة بدلاً من ذلك بلغة البهاشا<sup>(\*)</sup>، والخط الديوناگرى وقد

(١) حالى: حيات جاويد ص ١٧٤ - ١٨٣.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٥٣ - ٥٥.

(٣) حالى: حيات جاويد ج ٢، ص ٢٩٢.

(٤) عبد الفيوم: حالى كى ارد ونثر نكارى ص ٢٨.

(\*) لغة البهاشا: لغة البهاشا أو «برج بهاشا» هى إحدى اللغات الهندية القديمة التى كان يتحدث بها الآريون الذين كانوا يتحدثون آنذاك بلغات متباينة أشهرها لغة التاميل والتليگو وأوريا، وعندما أرادوا أن يحافظوا على لغتهم خوفاً من الضياع وسط هذا الكم الهائل من اللغات الهندية، قاموا بوضع أسس وقواعد صارمة للغتهم هذه وأطلقوا عليها اسم «اللغة السنسكريتية» أى اللغة الفصيحة ودونها بالابجدية التى لا تزال موجودة حتى الآن - والمعروفة بـ ديوناگرى، وقد تطورت لغة البهاشا عن لغة الشورسينى وأصبحت أكثر نضجاً وانتشاراً فتحدث الناس بها من لاهور حتى الله آباد والسند ومالوه.

(١٤١ حميد: ارد ونثر كى داستان ج ١. ص ٢ - ٣).

علم بذلك السير سيد وتالم وقال: إن هذه أول مرة أتأكد فيها أن الهندوس والمسلمين يسيرون في طريقين مختلفين ومن الصعب التقاؤهما»<sup>(١)</sup>. وكانت هذه الحادثة عام ١٨٦٨ م فتغيرت أفكار السير سيد وخططه واعترف أنه «من المستحيل أن يحكم الهند أحد من المسلمين أو الهندوس ويستطيع أن يقيم العدل» وأن الأفضل في نظره أن يأتي «قوم آخرون ليحكمونا»<sup>(٢)</sup>، وبناءً على هذه الدلائل قرر أنه «من الضروري أن تبقى الحكومة الإنجليزية تحكم الهند للأبد» وقدم عدة نصائح للحكومة الإنجليزية واقترح على الحكومة «أن يكون لكل من المسلمين والهندوس جيش منفصل عن الآخر حتى إذا ثار فريق منهما ردعه الفريق الآخر»<sup>(٣)</sup>، وبذلك تضمنت الحكومة الإنجليزية حكمها للأبد.

ونجح السير سيد في خطته واقنع الإنجليز بأن المسلمين قد ظلموا بغير وجه حق فانفجرت سياستهم تجاههم وجنحت إلى اللين وفتحت لهم أبواب الوظائف والمناصب المختلفة.

وفي سنة ١٨٦٩ م سافر السير سيد إلى إنجلترا مع ولديه سيد محمود وسيد حامد لإلحاقهما في الجامعة هناك بناءً على نصيحة صديقه كرنل كريبهم وظل في لندن أكثر من عام اطلع فيه على الحضارة الغربية وسنحت له الفرصة لمشاهدة التقدم العلمي والحياة الاجتماعية هناك وجمع مواد كتابه «خطبات أحمدية» للرد على كتاب «حياة محمد» للسير وليم ميور<sup>(٤)</sup> إلى جانب إطلاعه على الجامعات الإنجليزية ثم عاد في ٢ أكتوبر ١٨٧٠ م وعنده الرغبة الكاملة في نشر التعليم الإنجليزي بين المسلمين ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتضح معالم حركة علي كرت هـ وخاصة عندما أصدر جريدة «تهذيب الأخلاق» في ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠ م من أجل نشر أفكاره التعليمية والدينية ومحاربة أمراض المسلمين الاجتماعية وقد تناول فيها عدة موضوعات تهم المسلمين وقال في أول عدد.

إن الهدف من صدور هذه المجلة وهو ترغيب مسلمي الهند في الإقبال على الحضارة

---

= وتعتبر لغة «برج بهاشا» المنبع الذي خرجت منه اللغة الأردية، ففي الوقت الذي كانت فيه اللغة الأردية لا تزال في مهدها كانت لغة «برج بهاشا» قد وصلت إلى الكمال.

(محمد حسين آزاد: آب حیات. ص ٩).

(١) حالي: حیات جاوید. ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) السير سيد. مجموعة رسائله لكجر ص ١٦٨ - ٢٥٩.

(٣) السير سيد: أسباب بغاوت هند.

(٤) حالي: حیات جاوید ص ٨٢ - ٨٣.

الكاملة التي تعنى بجميع نواحي الحياة واستخدام لذلك اللفظ الإنجليزي Civiliation حتى لا تنظر إليهم الامم المتحضرة بعين الازدراء ويطلق عليهم لقب متحضرين، وتناول في مجلته الموضوعات التي تحث على تقليد الغرب وحضارتهم في العادات والتقاليد والتعليم والتربية وطريقة البحث وتناول الطعام وفي الملابس، وبدأ يتحدث فيها عن موضوعات تمس جميع جوانب الحياة، وقد تعرض السير سيد للموضوعات الدينية في مجلته مثل تفسيره للقرآن الكريم والإنجيل ومحاولة تأويل آيات القرآن وأوامر الشريعة طبقاً لآراء الفلاسفة الغربيين الباطلة فأنكر الوحي والمعجزات ووجود الجن ونظام تعدد الزوجات والرق في الإسلام وغيرها من الآراء التي كانت سبباً في المعارضة الشديدة لها من قبل العلماء ورجال الدين المسلمين الذين أصدروا الفتاوى بتكفيره واتهموه بأنه أصبح مسيحياً وأنه من الدهريين. ويقول حالي عن هذه الجريدة أنها «لم يكن لها تأثير واضح على دهلى ولكنا ونواحيهما حيث الثقافة الإسلامية المتصلة في المسلمين من القديم، ولأنها تعرضت لبعض الافكار الدينية التي لم يستسيغها العوام بالطبع فانتشر المعارضون لها في أنحاء الهند بمجرد إصدار عديدين منها وأطلق عليه المسلمون لقب<sup>(١)</sup> دهري<sup>(\*)</sup>، ويقول معين الدين عقيل:

لقد لاقت أفكار السير سيد الدينية معارضة شديدة في أوساط المسلمين لأنها اتجهت وجهة جديدة خاصة عندما حاول أن يفسر القرآن بطريقة جديدة غير مالوفة لديهم وهذا

(١) حالي: حيات جاويد ص ٨٥ - ٨٦.

(\*) الدهرية: كلمة عربية مأخوذة من الآية ٢٣ من صورة الجاثية التي تقول بلسان الكفار «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» وتطلق الدهرية على أولئك الذين أنكروا الاعتقاد في الله وأنكروا خلق العالم والعناية الآلهية، ولم يسلّموا بما جاءت به الأديان الحقّة الشرائع السماوية والبعث والعقاب وقالوا يقدم الدهروان للمادة لا تفتى وان كل ما حدث في العالم إنما يرد إلى فعل القوانين الطبيعية أى إلى حركة الأفلاك، وقد ذكر الشهرستاني في فقرة من فقرات كتابه إنهم ينكرون المعقولات ولا يعترفون إلا بالمحسوسات. ونجد تعريفاً للدهرية يقول إنهم يسلّمون بوجود الله ولكنهم يفسرون أصل العالم باجتماع الجواهر الفرد على غير هدى في دوراتها في الفضاء. وتقرّب كثيراً من معنى كلمة الدهرية إذا ترجمناها بكلمة Naturalists أى الماديين أو بكلمة Materialisيس أى الطبيعيين. ويفرق الغزالي في كتابه «المنقذ من الضلال» بين الدهرية والطبيعيين الذين ينكرون تجوهر النفس ومن ثم خلودها مع تسليمهم بوجود إله خالق مهيمن، ولجمال الدين الأفغانى رسالة في الرد على الدهرية (دائرة المعارف الإسلامية: المجلد التاسع ص ٣٣٧ - ٣٣٩).

وقد نشأ مذهب الطبيعة في أوروبا وروج له أنصار دارون صاحب نظرية «النشوء والتطور».

أمر طبيعي فالسير سيد لم يكن مفكرا دينيا ولم تكن حركته دينية بل كانت حركة سياسية وحضارية»<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التي لاقاها السير سيد من المسلمين وخاصة علماء الدين إلا أنه واصل جهوده الإصلاحية في مجال التعليم وأسس كلية على كُرت هـ العصرية لتدريس العلوم الغربية. وسأتحدث عنها في الجزء الخاص بالحالة الفكرية في عصر حالي.

---

(١) معين الدين عقيل . تحريك آزادي مين ارد وكاحصه ص ٢٨٧ - ٢٩١ .

## المعارضون لحركة علي گرطه

عارض كثير من المسلمين حركة علي گرطه ورائدها السير سيد بعد أن اتهموه بالكفر والخروج على جماعة المسلمين لأنه نادى بأفكار معارضة للعقيدة الإسلامية وكان على رأس هؤلاء المعارضين لحركة علي گرطه مولوى إمداد علي ومولوى علي بخش وكان هذان السيدان على خلاف فيما بينهما من ناحية العقيدة الدينية ولكنهما اشتركا في معارضتهما لحركة علي گرطه ويقول حالي: «إن المعارضة التي ظهرت في أنحاء الهند ضد حركة علي گرطه كان مصدرها هذين السيدين»<sup>(١)</sup>، وقد استمرت هذه المعارضة ردحاً من الوقت وكان السبب الرئيسي في معارضة مولوى إمداد علي ومولوى علي بخش يرجع إلى شكوكهما في أفكار السير سيد الدينية، لأنه حاول تفسير الأمور الدينية تفسيراً طبقياً لضروريات العصر وأنكر تقاليد المسلمين الموروثة لذلك أصبح المسلمون معارضين لشخصية السير سيد بعد أن عارضوا مهمته الإصلاحية ولم يرحب الناس باجتهاده لاعتمادهم أنه سوف يؤثر بأفكاره الإلحادية عليهم<sup>(٢)</sup>، وقامت عدة مجلات معارضة لمجلة «تهذيب الاخلاق» للرد على السير سيد وأشهر هذه المجلات مجلتا «نور الأنوار» و«نور الآفاق».

ويقول العلامة وحيد الدين خان لم ينتبه أحد من الزعماء المسلمين إلى الفكر الإيجابي الذي عبر عنه حالي في بيت شعر له يقول: «در مع الدهر كيف دار»<sup>(٣)</sup>، وقد سلك هذا الاتجاه السير سيد وهو من الشخصيات سيئة السمعة، فكان يقول إن الحكومة الإنجليزية قد سدت علينا أبواب العمل السياسي ولكن أبواب التعمير والبناء الأخرى مفتوحة أمامنا ولذلك دعا إلى الإقبال على العلوم الغربية، لكن ماذا كان هدفه من وراء تعلم علوم الغرب؟ لقد كشف عن ذلك رفيقه الحميم الطاف حسين حالي في بيت شعر آخر يقول «تعالى، يا حالى لنقلد الغرب، الآن» لقد كان هدف السير سيد من هذا التقليد هو أن يتمكن المسلمين من الحصول على أعلى المناصب فى ظل الحكومة

(١) حالي: حیات جاوید ص ٤٠٢.

(٢) عبد القیوم: حالی کی ارد و نثر نگاری ص ٣١.

(٣) جس رُخ رُمانه پهرے اسی رخ پھر جلو.

الاستعمارية القائمة وكانت الحضارة التي نادى بها كما سماها أحد تلاميذه مهدي أفادي - بكل حق بأنها « الثقافة الأنجلو إسلامية » فهي ثقافة ذات قشور إسلامية مظهرية وطبيعة إنجليزية، قامت على التقليد<sup>(١)</sup>.

وقد اختلفت الآراء بصدد تصنيف حركة السير سيد، فيإلى أى الحركات تنتمى وتحت أى الحركات تندرج ففى حين يعتبرها البعض حركة دينية، كما قال حالى إن الدين كان المحرك الأساسى لأفكار السير سيد الإصلاحية، نعم قد ينطبق هذا الرأى على المراحل الأولى من تفكير السير سيد لأن نجاح أى حركة فى ذلك الوقت كان مرهوناً بجعل الدين هدفاً أساسياً من أهداف هذه الحركة أو تلك، إلا أن السير سيد انسلخ عن آرائه الدينية التى جعلها حالى المحرك الأساسى لحركته.

ويعتبرها البعض الآخر حركة اجتماعية، على حين يؤكد فريق ثالث أنها حركة تعليمية، لكن الدكتور معين أحسن جذبى يعتبرها حركة سياسية نشأت فى ظل أوضاع المسلمين الاجتماعية ولها جوانبها الدينية والاجتماعية والتعليمية التى ينخدع بها المرء.

**علماء الدين الذين عارضوا حركة على گرط هـ:**

عارض رجال الدين حركة على گرط هـ التى نادى بضرورة تعليم المسلمين العلوم الغربية الحديثة واتهموه بالكفر والزندقة وموالة الإنجليز وكان على رأس هؤلاء العلماء السلفيين: -

حاجى امداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد الدين أحمد كنگوهى والشيخ حسين مدنى والمفتى عزيز الرحمن الذى أفتى بكفر السير سيد<sup>(٢)</sup>، وكان من بين المفكرين الذين عارضوا السير سيد أحمد خان وحركة على گرط هـ كل من شبلى النعمانى مؤسس «ندوة العلماء» فى لكناؤ ومولوى امداد على ومولوى على بخش وقاموا بإصدار مجلتي «نور الانوار» و«نور الآفاق» وقد تشكك هؤلاء جميعاً فى أفكار السير سيد الدينية لأنه حاول تفسير الأمور الدينية تفسيراً عصرياً أنكر فيه تقاليد المسلمين الموروثة<sup>(٣)</sup>.

(١) وحيد الدين خان، المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ص ٥٢، ٥٣، ٢٣، ٢٤.

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص ٤٣.

(٣) حالى: حيات جاويد ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

## ٢ - الحالة الفكرية في عصر حالي

اهتم المسلمون منذ فتحهم للهند اهتماماً كبيراً بالناحية الفكرية(\*)، ونشر التعليم والثقافة الإسلامية في أرجاء الهند المختلفة، وعندما دخل المغرب الهند اهتم ملوكهم اهتماماً خاصاً بالناحية الثقافية بما فيها التعليم وكان لكل من الامبراطور باير وهمايون حظ وفير من الذوق السليم وكان باير أديباً ترك لنا مذكراته في كتاب «توزك بابري» وكان همايون من العلماء فاهتم بالفلك والحساب والجغرافيا واهتم بأباطرة المغول كاسلافهم الأفغان والترک بالعلوم والفنون حتى بلغت الحياة الثقافية ذروتها في عهد أكبر وأدرجت بعض المواد الخاصة مثل المنطق وعلم الحساب والجبر والفلك والإدارة العامة ضمن المنهج الدراسي وتميز التعليم في عهده بالطابع العلماني<sup>(١)</sup>.

وبعد انتهاء نفوذ حكومة المغول في دهلي، كان في روهيلكند ونواحيها من مملكة أوّده خمسة آلاف من العلماء يدرسون في المدارس المختلفة ويدفع لهم حافظ رحمت خان مرتباتهم، ويقول تيلر: لا يختلف اثنان على أن الهند كانت مركزاً علمياً كبيراً يتفجر منه نور العلم وكانت الامم الأوروبية القديمة المتحضرة ترتوي من ذلك المنهل العذب وتحلى بما فيه من علم وأدب وصناعة.

وبعد مجيء الإنجليز للهند واحتلالها حاولوا نشر نظام تعليمهم ولغتهم وكان الهدف من ذلك تخريج عقول فارغة من الثقافة الإسلامية يدينون لهم ويستفيدوا منهم في الوظائف المختلفة التي تخدم مصالحهم الاستعمارية، فقاموا بالقضاء على التعليم الديني واستولوا على الاوقاف الإسلامية التي وقفها كبار المسلمين للإنفاق منها على التعليم

---

(\*) أنشأ المسلمون منذ دخولهم الهند المدارس والكتاتيب وأقاموا حلقات العلم والوعظ في المساجد والزوايا لتعليم العلوم الإسلامية وكان السلاطين والأمراء وأهل البر يوقفون المال الوفير لهذا الغرض، فقد أنشأ السلطان محمود الغزنوي مدرسة في غزنة وأخرى في لاهور وجاء بعده محمد الغوري الذي أنشأ عدة مدارس في أجمير، ثم جاء السلطان التمش وأنشأ أول مدرسة في دهلي سماها «المدرسة المعزية» وفي عهد محمد تغلق أقيمت عدة مدارس في دهلي، يقول القلقشندي في كتابه «صبح الاعشى» الذي ألفه في عهد محمد تغلق عند وصف دهلي «وفيها ألف مدرسة منها مدرسة واحدة للشافعية وبقيةها للحنفية وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى دور الشفاء».

(القلقشندي: صبح الاعشى ج ٥ . طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣ . ص ٦٩).

(١) محمد اكرام: موج كوثر. إدارات ثقافت إسلامية. لاهور ط ١٩، ١٩٧٥م، ص ١٧ - ١٨.

الدينى وأحلوا محلّه التعليم الإنجليزى المدنى الذى لا يخدم إلا أهدافهم<sup>(١)</sup>.

وتنفيذاً لهذه الخطة قامت محاولات عديدة لنقل التعليم الغربى بكل حسناته وعبويه إلى الهند بقدر الإمكان وقام راجاجى پور بتأسيس ٢٨٤ مدرسة فى ولايته وقام اللورد ميو وعقد اجتماعاً لأمراء اجمير واطلعهم فيه على رغبته فى إقامة كلية لتعليم الأطفال وقام الإنجليز بفتح مدارس للبنات فى بومباي<sup>(٢)</sup>.

وكان الإنجليز يعتقدون فى البداية أن نشر التعليم الجديد ضرورى من أجل إحكام سيطرة الحكومة البريطانية لذلك سن البرلمان فى عام ١٨١٣ م قانوناً يدعو إلى تعليم الهندود العلوم الجديدة، فلم يكن فى ذلك الوقت أى مدارس نظامية حكومية سوى مدارس المبشرين<sup>(٣)</sup>، وفى سنة ١٨١٧ تأسست الكلية الهندوسية فى البنغال واهتمت بالتعليم الإنجليزى وكما يقول عبد الله يوسف: فإن اللغات المعترف بها ويتم بها التدريس هى الإنجليزى والبنغالية والفارسية ولكن الاهتمام كان منصباً أكثر على اللغة الإنجليزىة وبدأ الطلبة يتقدمون بسرعة فى التعليم الإنجليزى وعندما رفض أصحاب الاتجاه القديم التعليم الإنجليزى ثار رام موهن رأى وأعلن أن تعليم اللغة السنسكريتية بلا فائدة ودافع عن التعليم الجديد، وانتشر التعليم فى البنغال أكثر بسبب التواجد الإنجليزى فيها<sup>(٤)</sup>.

وفى سنة ١٨٢٥ أقيمت «دهلى كالج» كلية دهلى وبدأت فى نشر العلوم الغربية واهتمت أكثر بالعلوم المتقدمة وقل اهتمامها بالأدب على عكس الكلية الهندوسية «هندو كالج» وكلية فوررت وليم التى أنشئت عام ١٧٩٩م، فقام طلبة «دهلى كالج» وأساتذتها بكتابة كتب عديدة فى مختلف العلوم والفنون وترجموا العديد من الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة الأردية وكان لهذه الكلية دور كبير فى نشر العلوم الجديدة<sup>(٥)</sup>، وكانت هذه الكلية تمثل صحوة فى شمال الهند وقد ركزت على جمع عناصر الشرق والغرب معا تحت سقف واحد وقام أساتذتها وطلابها بكتابة مؤلفات

(١) طفيل أحمد: روشن مستقبل، دهلى. ١٩٤٥م ص ٩ - ١١.

(٢) غارسان دى تاسى: مقالات غارسان دى تاسى. جلد اول. المجمع ترقى ارد وباكستان الطبعة الثانية. ١٩٦٩م، ص ٤٩.

(٣) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٢٢.

(٤) عبد الله يوسف على: انگریزى عهد میں ہندوستان کے تمدن کی تاریخ ص ١٥٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٢٢.

عديدة فى العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والادب والنقد والمعاجم كما ضمت داراً للترجمة مما جعل أهل الأردية يطلقون عليها اسم «نشأة ثانية» أى حركة البعث ومن أساتذة هذه الكلية هـ. د. تيلر وبطرس شبرنجر ووزير على وأمير على ورام چندر ومملوك على أستاذ اللغة العربية ومولوى أمام بخشى صهبائى أستاذ الفارسية ومولوى نذير أحمد<sup>(١)</sup>، وضمت الكلية فيما بعد چندر رام كشن وبيارمى لال ومولانا شهامت على والدكتور مكندلال ومحمد حسين آزاد ومولوى ذكاء الملك والذين تربوا فى كنف هذه الكلية وفى سنة ١٨٣٥م، قام الحاكم البريطانى وليم بينتنج بناء على اقتراح اللورد ميكالى بفرض التعليم الجديد وقال فى الاقتراح «إن الهدف الاصلى من التعليم الجديد هو نشر العلوم الإنجليزية لأن العلوم الشرقية عقيمة وبلا فائدة فضلا عن أن التعليم الإنجليزي يخدم مصالح الحكومة» وقام مسلمو كلكتا بالاحتجاج على هذا القرار وأعدوا مذكرة يهتمون فيها الحكومة بمحاولة عرقلة التعليم الشرقى والعلوم الإسلامية خاصة وإغلاق مدارسها وتوجيه اهتمامهم تجاه التعليم الإنجليزي، والهدف من ذلك هو تحويل المسلمين إلى الديانة المسيحية فى حين اعتبر الهندوس هذا القرار مفيدا لهم، وظل المسلمون على حالتهم من الجمود حتى كانت ثورة ١٨٥٧م<sup>(٢)</sup>، وبعد الثورة أُغلقت كلية دهلى وألغى الإنجليزية اللغة الفارسية لغة المسلمين كلغة رسمية لأنها فى نظرهم لغة الحكومة الإسلامية ورمز للامبراطور المغولى ولما كان من الصعب إحلال اللغة الإنجليزية محلها فوراً لهذا اقرروا اللغة الأردية بديلاً للفارسية بصورة مؤقتة وقام الإنجليزية كعادتهم بتشجيع اللغة الهندية لتقف نداءً للغة الأردية وإشاعة الفرقة بين أهل البلاد، ومن ناحية أخرى بدأوا فى نشر اللغة الإنجليزية تدريجياً حتى احتلت الثقافة الإنجليزية مكانة الثقافة الفارسية ومن هنا بدأ الصراع بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية وفرض هذا الصراع أسلحة معينة تتمثل فى اللغة بمفاهيمها الجديدة ودلالاتها الحديثة ومصطلحاتها الوليدة ورغم أن كلية دهلى بدأت الإعداد لأسلحة هذا الصراع الفكرى إلا أن الأعداد الفعلية<sup>(٣)</sup> كان متمثلاً فى الجانب الثقافى والفكرى من حركة على كمرط هـ.

ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الأفكار القديمة والجديدة من خلال أنصارهما

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: ص ٢١.

(٢) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٧.

(٣) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ١٠.

وبدأت نظريات الغرب تتسلل إلى المجتمع الهندي عن طريق دعاة التجديد من أمثال السير سيد وحركة على غرط ه وحاول الغب من فيض الغرب ونقل علومهم، ودعا إلى تعلم اللغة الإنجليزية لمسايرة الوضع الجديد والتكيف مع الظروف الراهنة ويرى أن ذلك أنجح طريقة لنهضة المسلمين وعدم تأخرهم عن باقي القوميات الهندية وخاصة الهندوس، وحتى لا يتأخروا عن ركب الحضارة الحديثة. وقد أحس المسلمون بالخطر المشترك تجاه الإنجليزية والهنود نتيجة تأثير التعليم الجديد وازدادت شجاعتهم فى مقابلة الأحداث عن طريق تعاونهم مع الإنجليزية وكان منهج هذه الحركة فى التعامل مع الإنجليزية يؤكد - فى الظاهر - أنهم لا يعادون الإنجليزية وكان أسلوب تفكيرهم فى هذه الحقبة ليس شاذاً أو غير طبيعى لان المسلمين واصلوا حربهم للتحرير لقرنين ونصف ولاتوا الفشل المتواصل وتدهورت أحوالهم السياسية والاقتصادية لذا يرى أصحاب هذه الحركة أن تعاملهم مع الإنجليزية كان ضرورة واجبة<sup>(١)</sup>، وظهر اتجاه سلفى محافظ نادى بالرجوع إلى تعاليم الإسلام والعلوم الدينية حتى لا ينصهر المسلمون فى خضم هذه النظريات الغربية. وقرروا علانية إحياء عاطفة الإسلام بكافة المحاولات الممكنة وبدأوا حركتهم الواسعة من أجل ايجاد الصلة بين حضارة المسلمين ونظرية حياتهم وتكونت « حركة ديوبند » لتنفيذ هذه الإصلاحات وبدأوا فى إنشاء المدارس والكتاتيب فى أنحاء الهند بالجهود الذاتية وكانت مدرسة ديوبند هي قلعتهم الايدلوجية وزعيم هذه الحركة مولانا محمد قاسم نانوتوى وبدأ أنصار حركة ديوبند عن طريق إداراتها المنتشرة فى أرجاء الهند بتوجيه اهتمامهم بدراسة تاريخهم وحضارتهم ومثلهم العظيمة حتى يبنوا مستقبلهم على ضوئها.

وظهرت حركة توفيقية ثالثة مزجت بين القديم والحديث فى محاولة لايجاد التوفيق بين حركتى على غرط ه وديوبند وقد قامت ندوة العلماء بهذا الاتجاه التوفيقى وعلى رأسها العلامة شبلى نعمانى الذى قال عند تأسيسها « إن نهضة الشعوب الأخرى هي أن تتقدم إلى الامام أما نهضتنا فهي أن نعود إلى الورا حتى ننضم إلى عصر النبوة ».

وقد قررت ندوة العلماء تحصيل النظريات الجديدة بجانب العلوم القديمة بالقدر الذى لا يضر المسلمين ويبعدهم عن دينهم ومن الضرورى التوفيق بين العلوم القديمة والعلوم

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى من ارد وكاحصه ص ٢٨٦.

الحديثة أى بين التعليم الدينى والدنيوى<sup>(١)</sup>.

ويرى شبلى النعمانى مؤسس ندوة العلماء أن مهمة ندوة العلماء هى تخريج العلماء الذين يستعملون أن يبلغوا الكمال فى أى فن من الفنون<sup>(٢)</sup>.

وقد انعكس هذا الصراع الفكرى على الأدب والشعر، وكان بداية لخروج الأدب عن جموده، وتطور النشر الأردى وتنوع أساليبه وكانت اللغة الفارسية هى اللغة الأدبية وقد بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً ولا يوجد أدب فى اللغة الأردية جدير بالذكر سوى دواوين شعراء الغزل وعدة كتب نثرية ولم يكن للنشر الأردى المقدرة والصلاحية على تقديم وعرض المسائل العلمية، والشعر الأردى ملئ بالعيوب ولا يستطيع أن يفيد المجتمع، فكان ينبغى إعداد لغة لتحل محل الفارسية وينشأ أدب جديد يصور لهم عظمة الماضى وانحطاط الحاضر ويرتب أصول جديدة لنقد الشعر، وأن يروج نشر جديد لبيان الأحداث والوقائع اليومية بلغة سهلة سلسلة لا من أجل عرض قوة الأسلوب بلغة صعبة، وقد قام بهذه المهمة أدباء وشعراء كبار مثل شبلى النعمانى ونذير أحمد والسير سيد ومحمد حسين آزاد والطف حسين حالى وكان للأخيرين دور بارز فى حركة الشعر الجديد ونجحت اللغة الأردية فى ذلك العصر فى إثبات ذاتها كلغة قادرة على تناول قضايا الأدب المتشعبة.

---

(١) شبلى النعمانى: مقالات شبلى، مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٥. ج ٣ ص ١٣٨ - ١٤٠.

(٢) شبلى النعمانى: باقيات شبلى - مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٦، ص ١٠١.

## ١ - حركة ديوبند ١٨٦٦م والاتجاه السلفى القديم

بعد فشل ثورة ١٨٥٧ لم تخمد عواطف العلماء المجاهدين المستمدة من الحركة السياسية والفكرية لشاه ولي الله وأسرته من بعده وقد كان لجهود شاه عبد العزيز وجماعة المجاهدين في ثورة التحرير دور بارز ومنهم حاجي إمداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنگوهى وغيرهم وبعد فشل الثورة انقسم هؤلاء العلماء إلى فريقين: الفريق الأول آثر الهجرة إلى الحجاز برفقة حاجي إمداد الله والفريق الثاني قام بافتتاح مدرسة إسلامية في ديوبند عام ١٨٦٦م على غرار مدرسة شاه عبد العزيز في دهلى والتي أغلقت في أحداث الثورة وبدأوا عن طريق هذه المدرسة في نشر أفكارهم الدينية والتعليمية وكان هذا الفريق بزعامة مولانا محمد قاسم نانوتوى (\*) (١).

وافتح هذه المدرسة في مسجد صغير بقرية ديوبند إحدى قرى محافظة سهارنپور في عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٧ على يد الحاج محمد عابد أحد اتقياء المدينة ثم استلمها مولانا محمد قاسم نانوتوى الذى كرس جهوده لتصبح هذه المدرسة مركزا دينيا ومرجعا روحيا للمسلمين في جميع الهند وكان من بين علمائها محمود الحسن الديوبندى والمفتى عزيز الرحمن والشيخ حسين أحمد مدنى (٢).

وقد قام هؤلاء العلماء بإنشاء المدارس والمعاهد المختلفة على غرار مدرسة ديوبند لكى يحافظوا على ثقافتهم الإسلامية وعلى علومهم الدينية فى وجه الفكر الغربى حتى يحافظوا على كيانهم من الإنحلال والذوبان بفعل الأفكار الغربية الملحدة وقرروا الجهاد فى ميدان العلم ونشر العلوم الإسلامية وقد قامت هذه المدارس على الجهود الذاتية من

---

(\*) ولد فى قرية «نانوتا» فى سهارنپور عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢م ودرس فى مدارس دهلى الدينية واشترك فى الثورة وعمره ٢٥ سنة وكان قائداً عاماً للجيش الذى أعده العلماء وانتصر فى بعض المواقع والقى السلاح بعد سقوط دهلى حتى لا يبطش به الإنجليز واختفى ليظهر ويؤسس هذه المدرسة وتوفى عام ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩م ودفن فى ديوبند وله مؤلفات كثيرة. (تاريخ الإسلام فى الهند ص ٣٧).

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مىس اردو كاحصه. ص ٣٢٠ - ٣٢١.

وعبيد الله سند هى: شاه ولي الله اورانكے سياسى تحريك. ص ١٠٥.

(٢) عبد الحلیم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند. ص ١.

المسلمين حتى لا تقع تحت تأثير أى سلطان أو حاكم حتى تستمر فى أداء واجبها بصمود خاصة وأن الحكومة الإنجليزية كانت تحارب هذه المدارس عن طريق الاستيلاء على أوقافها فى حين أنها كانت تساعد المبشرين بقوة وتكثر من فتح المدارس الحديثة. وكانت مدرسة ديوبند أول معهد تعليمى يكونه رد فعل على محور التبشير والتفريب ومكافحة التيار الغربى ويخرجون منها دعاة الإسلام والوعاظ وعلماء الدين<sup>(١)</sup>.

وقد بدأت الدراسة فى مدرسة ديوبند فى مسجد صغير لازال قائماً للآن يسمى «مسجد تشى» بطالب واحد هو «محمود الحسن» وأستاذ واحد هو «ملاقارى محمود» فى المحرم سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٧م وتحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد أحمد<sup>(\*)</sup> الكنگوهى<sup>(٢)</sup>.

وقد قام بالتدريس فى هذه المدرسة محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنگوهى ومولانا ذو الفقار على ومولوى فضل الرحمن وجعل مولانا نانوتوى لهذه المدرسة نَظْمَ أساسية ومنهج عمل وقرر المقررات الدراسية والمناهج لسبع سنوات وكانت القاعدة الأساسية لمن جاء بعده فى إدخال التطورات عليها، وبجهود مولانا نانوتوى أقيمت فروع عديدة لمدرسة ديوبند وعلى غرارها فى مراد آباد وسهارةنپور وكان مولانا مظهر نانوتوى مديراً لمدرسة مظهر العلوم التى أقيمت فى سهارةنپور وتعددت هذه الفروع حتى وصلت الأربعين وكان من المبادئ الأساسية التى قامت عليها مدرسة ديوبند هو الاستفادة من حزب شاه ولى الله وفيض علمه وتقوم المدرسة بإعداد العلماء بحيث يكون لديهم الرغبة والاستعداد التام للعمل فى المساجد والمدارس، وبعد وفاة مولانا محمد قاسم نانوتوى تولى رشيد أحمد كنگوهى مهمة الإشراف على مدرسة ديوبند والذى بوفاة عام ١٣٢٣ هـ انتهت المرحلة الأولى فى تاريخ هذه المدرسة والذى امتد أربعين سنة

(١) محمد على ضناوى: كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث. ص ١٠٦ - ١٠٧.

\* ولد فى قرية كنگوه فى سهارةنپور عام ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٨م ودرس فى مدارس دهلى الدينية وأخذ الطريقة الصوفية عن مولانا إمداد الله ثم اشترك فى الثورة وسجن ستة أشهر ثم خرج ليشارك فى تأسيس هذه المدرسة وتوفى عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥م ودفن فى كنگوه وله عدة مؤلفات. (تاريخ الإسلام فى الهند - ص ٣٨). وقد اشترك محمد قاسم نانوتوى ورشيد أحمد كنگوهى فى فضائل الثورة وكان لهم نصيب بارز فيها ولا يوجد أى تفصيلات عن ذلك حتى اليوم لأن معرفة هذه التفصيلات صعبة للغاية (غلام رسول مهر: اثاره سو ستاون كى مجاهد ص ٢٥٠).

(٢) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند. ص ٣٨. ومحمد إكرام: موج كوثر. ص ٢٠٦.

حافظت فيها على مركزها الفكرى ونشر الحركة العلمية التى تجاوزت حدود الهند إلى أفغانستان وتركستان والحجاز حتى وصلت إلى القوقاز، ومن الطلبة الذين تعلموا فى هذه المدرسة وكانت لهم شهرة عظيمة مولانا محمود الحسن، مولانا حسين أحمد مدنى، مولانا ثناء الله أمر تسرى، مولانا أشرف على تهانوى ومولانا عبد الحق حقانى، مولانا سيد أنور شاه كشميرى، مولانا عبيد الله سندهى وغيرهم<sup>(١)</sup>.

ثم تولى مهمة الإشراف على المرحلة الثانية من تاريخ هذه المدرسة مولانا محمود الحسن وكانت المرحلة الأولى بالنسبة للعمل السياسى وكان محمود الحسن أول طالب فى مدرسة ديوبند والتلميذ العزيز لى مولانا محمد قاسم وقد تولى التدريس فى عام ١٩٠٥ بعد أن أنهى دراسته وورث عن أستاذه عاطفة حب الوطن وقد تيسر له ذلك بصورة عملية، وكون تلاميذه جماعة «جمعية الأنصار» وكان مديرها مولانا عبيد الله سندهى وكان أول جلسة لها فى ١٥ أبريل ١٩١١م وقد أدى قيام هذه الجمعية إلى زيادة الصراع بين على گرط هوديوبند، وقد اشترك فى هذه الجلسة صاحبزاده آفتاب أحمد خان واتفق مع كلية على گرط ه على أن الطلبة الذين يدرسون الإنجليزية يجب أن يتعلموا العلوم الدينية فى ديوبند وطلبه ديوبند يتعلمون العلوم الغربية فى كلية على گرط ه وبعد ذلك استمر دور ديوبند وعلمائها بارزا فى الهند وخارجها حيث اشترك مولانا محمود الحسن وأيد الحركات التحررية فى العالم الإسلامى مثل الجزيرة العربية وتركيا ومصر للتخلص من الاستعمار البريطانى حتى قبض عليه وظل معتقلاً مع بعض زملائه فى مالطا حتى عام ١٩٢٠م. وفى المرحلة الثالثة لحركة ديوبند انضمت إلى حركة التحرير وساهمت عمليا فى صياغة نظرية باكستان والرابطة الإسلامية وكان من أبرز علمائها فى هذه المرحلة مولانا أشرف على تهانوى<sup>(٢)</sup>.

وقامت مدرسة ديوبند بتعليم الطب والهندسة والتاريخ إلى جانب العلوم الدينية والعربى والفارسى وقد قام الطلبة الذين تخرجوا من هذه المدرسة بنشر الثقافة الإسلامية فى ربوع الهند ونشر المبادئ الإسلامية الصحيحة وحاربوا<sup>(٣)</sup> البدع.

(١) معين الدين عقيل . تحريك آزادى ميں اردو کا حصہ . ص ٣٢٠ - ٣٢١ .

- عبيد الله سندهى : شاه ولى الله اور ان كے سياسى تحريك . ص ١٥١ .

- محمد إكرام . موج كوثر . ص ٢٠٧ .

(٢) معين الدين عقيل : المرجع السابق . ص ٣٢١ - ٣٢٩ .

(٣) محمد إكرام : موج كوثر . ص ٢٠٨ .

## ٢ - كلية علي گرطه والاتجاه العقلي الحديث

كان نشر التعليم الجديد من أهم المسائل فى رأى السير سيد فبالتعليم الجديد يستطيع المسلمون أن يشاركوا فى أعمال الحكومة ويكونوا مؤهلين للوظائف والمناصب الحكومية ويشرى هذا التعليم عقولهم فيصبحون متفتحى الفكر ونموذجا يحتذى به للأجيال القادمة، وعندما ينشب أى صراع اقتصادى أو حضارى بين أقوام الهند المختلفة يستطيعون أن يظفروا بنصيب وافر من المكاسب الحضارية فتعلو مكانتهم ويتقدمون فى مختلف مجالات الحياة الأخرى بدلاً من أن يقتصروا على وظائف الخدمة للأقوام الأخرى<sup>(١)</sup>.

وبناءً على هذا الرأى ونتيجة رؤيته لأوضاع المسلمين المتردية عاد وقبل اقتراح اللورد ميكالى - الذى رفضه من قبل - لتعليم المسلمين العلوم الغربية الجديدة والتي قبلها الهندوس وأقبلوا عليها وتقدموا فيها بمراحل عن المسلمين وعندما سافر السير سيد إلى إنجلترا عام ١٨٦٩م وزار الجامعات والمعاهد الإنجليزية وأطلع على التقدم العلمى والحضارى هناك نشأت عنده الرغبة الشديدة وازداد حماسة لإدخال التعليم الجديد فى مدارس المسلمين، وعندما عاد من إنجلترا سنة ١٨٧٠م بدأ فى تنفيذ خططه التعليمية فأسس جمعية راغبى تقدم مسلمى الهند «كميىتى خواستگاران ترقى تعليم مسلمان هند» من أجل وضع الخطط التعليمية للمسلمين وقد قررت هذه اللجنة أن تفتح إحدى الكليات ليحصل المسلمون فيها التعليم العالى لذا تكونت اللجنة المالية للكلية الإسلامية «محمدطن كالج فندطن كميىتى» وقابلت الحكومة الإنجليزية هذا الاقتراح بالقبول وساعدتهم على إنشاء هذه الكلية وتبرع اللورد نارتهبروك حاكم الهند بعشرة آلاف روبية لهذه الكلية وفى فبراير ١٨٧٣ أسسوا مدرسة العلوم بعلى گرطه وساهم فى إنشائها بجهد كبير كل من سيد محمود وسميع الله خان الذى تولى إدارة هذه المدرسة التى قامت بدور بارز فى تعليم المسلمين العلوم الجديدة، وكان السير سيد فى بنارس فى ذلك الوقت وقام السير وليم ميور بافتتاحها فى ٢٤ مايو ١٨٧٥، والذى يوافق ذكرى الاحتفال بيوم الملكة فيكتوريا وجاء فى ذلك اليوم السير سيد من بنارس وظل

(١) عبد القويم: حالى كى ارد ونترنگارى. ص ٤١.

مرتباً بعلى گُرطه حتى وفاته عام ١٨٩٨م، وبعد تطوير هذه المدرسة قام اللود لتن بافتتاح كلية على گُرطه فى يناير ١٨٧٧م، وتطورت الكلية يوماً بعد يوم وأحضر السير سيد لها أساتذة أوروبيين للتدريس بها مثل البروفيسير T. W. Arnold أستاذ الفلسفة ومدرس اللغة الإنجليزية البروفيسير والى الذى اشتهر فيما بعد بالسير والنزراى وهو من أشهر نقاد الأدب الإنجليزي والسير تيودور ماريس ومستر أرجيبيلد وغيرهم من الأساتذة الذين ساهموا فى تقدم هذه الكلية<sup>(١)</sup>. وكانت هذه الكلية مركزاً لأفكار السير سيد وخطته الإصلاحية وارتبطت بنشر العلوم الجديدة وقد ساند كثير من المتورين فى ازدهار ونشر حركة التعليم الجديد مثل محسن الملك الذى قال فى إحدى خطبه «إن لم نأخذ بتطبيق بعض الأعمال الإصلاحية فأننا سنظل نسير إلى الوراء، فقد أصبحت شهرة جهلنا ممتدة من الهند حتى بريطانيا وصرنا مضرراً للأمثال بكرهية التعليم»<sup>(٢)</sup>، وألطف حسين حالى ووقار الملك وسميع الله ومولوى نذير أحمد ومولوى جراح على وذكاء الملك ونواب عماد الملك وعبد الحليم شرر وغيرهم فى المرحلة الأولى، ونواب صدرىا رجنك ودكتور ضياء الدين وحبیب الله خان ومولوى عبد الحق وغيرهم فى المرحلة الثانية وخواجه غلام السیدین ورشید أحمد صديقى ودكتور عابد حسين ودكتور ذاكر حسين وغيرهم فى المرحلة الثالثة وقد ساهم هؤلاء بأفكارهم وجهودهم فى ازدهار هذه الكلية<sup>(٣)</sup>. وفى سنة ١٨٨٦م أسس السير سيد جمعية مؤتمر التعليم الإسلامى «محمد طن ايجو كيشنل» والذى تغير اسمه فيما بعد إلى «محمد طن ايجو كيشنل كانگریس» وهو عبارة عن إدارة مركزية مؤثرة هدفها البحث فى كيفية نشر التعليم الجديد بين المسلمين، وقد أثبت هذا المؤتمر أنه أكثر فائدة فى عدة جوانب من كلية على گُرطه فى إحداث يقظة المسلمين وقد نجح هذا المؤتمر وتعلم المسلمون عن طريقه العلوم الجديدة والنظريات الحديثة وظهرت لديهم ميول ونزعات سياسية جديدة، وقد وضع السير سيد فى هذا المؤتمر حالة المسلمين الحاضرة وقارن فيه بين التعليم القديم والجديد وأكد على ضرورة التكتل من أجل القضايا القومية والدينية وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام مرة فى مدينة من مدن الهند ويجتمع فيه وجهاء المسلمين لطرح مشاكلهم وتقديم الحلول المناسبة لها، واهتم بإنشاء الكليات الجديدة على غرار كلية على گُرطه ويرجع إليه

(١) محمد اكرام: موج كوثر. ص ٨٨، حالى: حیات جاوید ص ٨٨ - ٨٩.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر مگارى. ص ٣٠.

(٣) معين الدين عقيل: تحریک ازادى من اردو کا حصہ. ص ٢٩١.

الفضل في إقبال المسلمين على التعليم الجديد بعد أن قاطعوا الكليات التي أنشأها الإنجليز<sup>(١)</sup>.

وقام السير سيد في سبيل نشر التعليم الغربي وخططه التعليمية بإصدار جريدة سكان الهند «باشندگان هند» وأقام «المجتمع العلمي» لترجمة العلوم الغربية إلى اللغة الأردية، وكان السير سيد يريد أن يقيم جامعة تكون مشعل هداية للمسلمين وتدرس فيها العلوم الغربية والإسلامية فأقام الكلية الشرقية الأنجلو إسلامية «محمد طن اينكلواورينتل كالج» وقد قامت هذه الكلية بدور بارز في مساندة القومية الإسلامية الهندية وقد تهيأ المسلمون في هذه الفترة إلى الجهد المنظم ونشأت العديد من الإدارات التعليمية في مختلف مدن الهند تحت تأثير حركة السير سيد<sup>(٢)</sup> ومنها الكلية الشرقية بلاهور «أورينتل كالج لاهور» من أجل نشر أهداف جمعية البنجاب «انجمن پنجاب» العلمية وكان من أهدافها إحياء بعض العلوم الشرقية القديمة ونشر العلوم المفيدة بين سكان الهند عن طريق اللغات المحلية والتباحث في المشكلات الأدبية والاجتماعية وكان الدكتور لايتنر مرشد هذه الجمعية فأراد أن يقيم جامعة تمتزج فيها العلوم القديمة والجديدة وتسمو بالجوانب الخلقية والعقلية للهنود فبدأ بإنشاء مدرسة العلوم الشرقية عام ١٨٦٥م والتي أصبحت الكلية الشرقية في لاهور عام ١٨٧٢، وقامت هذه الكلية بتنفيذ أهداف جمعية البنجاب.

ومن هذه الإدارات التي نشأت بتأثير من حركة على كرت ه التعليمية جمعية حماية الإسلام «انجمن حمايت إسلام» بلاهور وأسسها قاضي حميد الدين ومولوى غلام الله قصورى عام ١٨٨٤م، وكان هدف هذه الجمعية تعليم الأولاد والبنات العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم العامة ونشر الإسلام والدفاع عنه عن طريق الندوات والمطبوعات التي كانت تصدر عن هذه الجمعية، ومن أجل نشر أهدافها أصدرت في البداية مجلة «انجمن حمايت إسلام» وقامت بتصنيف عدة كتب دراسية وكانت الجمعية تقيم كل عام مؤتمراً تدعو فيه علماء المسلمين لبحث الموضوعات الدينية ويلقى فيها الشعراء قصائدهم القومية والدينية وسرعان ما قامت فروع عديدة لها في مختلف مدن الهند عن طريق اهتمام هذه الجمعية بإقامة المدارس والكليات المختلفة<sup>(٣)</sup>. وقد نظم حالي قصيدة

(١) معين الدين عقيل: تحريگ آزادی مین اردو کا حصہ. ص ٧٧٤.

(٢) معين الدين عقيل: المرجع السابق. ص ٧٥٣.

(٣) معين الدين عقيل: المرجع السابق. ص ٧٥٧.

للتنويه بأهداف وأعمال جمعية حماية الإسلام في لاهور وذلك في إبريل ١٩٠٤م، في الجلسة السنوية للجمعية في لاهور وقد اشترك في هذه الجلسة محمد إقبال وألقى قصيدة وقد أعجب بها حالي<sup>(١)</sup>. وكانت هذه الجمعية تؤيد حركة على غرط هـ في مجال السياسة والتعليم وتخالفها في آرائها الدينية ولذلك أقبل عليها الكثير من العلماء والمفكرين وانضموا إلى عضويتها.

وبعد وفاة السير سيد في ٢٧ مارس ١٨٩٨م تولى إدارة كلية غرط هـ مولوى محسن الملك ونواب مهدي على خان وتطورت هذه الكلية حتى تحولت إلى جامعة عريقة يأتي إليها طلاب العلم من مختلف أنحاء شبه القارة الهندية وخارجها.

### أثر حركة على غرط هـ على الأدب الأردى

أ - أولاً: النشر:

أحدثت حركة على غرط هـ انقلاًباً عظيماً في الادب الأردى وألقت هذه الحركة بظلالها على فنون الادب الأردى المختلفة، وكان النشر عرضة لهذه التأثيرات لأن لغته أكثر قرباً من رجل الشارع من ناحية وأكثر سهولة وبساطة من لغة الشعر التي تحتاج جهداً مضاعفاً من الشاعر وقد يضطر إلى استعمال الكلمات الصعبة والبعيدة عن ذهن العامة من أجل المحافظة على صناعة شعره والخروج به بصورة ترضى المتلقى بالإضافة إلى أن لغة النشر ملائمة لصياغة الافكار الإصلاحية، وهذا مادعا السير سيد إلى إصدار جريدة «تهذيب الاخلاق» ونشر افكاره بلغة سهلة سلسلة قريبة من تفكير الرجل العادى.

وكان السير سيد يكره التكلف في النشر الأردى ولا يعتبر أن الجناس والسجع واللعب بالالفاظ من محاسن النشر، وقد كانت الزينة اللفظية من أهم سمات النشر قبل حركة على غرط هـ بغض النظر عن تقديم الفكرة كما يتضح ذلك في عبارات «فسانة عجائب» المليئة بالتصنع والتكلف والسجع، ومؤلفات صهبائى تعتبر نموذجاً لهذا العصر وشاهداً لما وصل إليه تدهور النشر الأردى وبعده عن السلاسة والوضوح، وحتى الطبعة الأولى من كتاب «آثار الصناديد» للسير سيد مليعة بالتكلف<sup>(٢)</sup> الذى كان لغة النشر في عصره ولكن السير سيد تدارك ذلك واعاد كتابته بلغة سهلة تتناسب مع ما يدعو إليه من تخليص النشر من هذه الطلاسم والعيوب، حتى راجت بفعل حركته طريقة جديدة في

(١) حالى، كليات نظم حالى ج ٢ - ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نكارى ص ٥٨.

الكتابة تؤدي المعنى للقارئ في سهولة ويسر وقد ساعده في حركته هذه كل من شبلى النعماني وحالي فقضوا على النثر المسجع والمقفى وأصبح النثر يتميز بالسلاسة والوضوح والبساطة ويتضح ذلك في مؤلفات حالي النثرية مثل «حيات جاويد» و«يا دگار غالب» و«حيات سعدي» وغيرها وستعرض لها في الصفحات القادمة.

وبفضل حركة على گرطه الأدبية استحدثت بعض الفنون الأدبية في النثر الأردني ولم يكن لها وجود من قبل مثل المقال وقد ازدهر هذا الفن بفعل مجلة «تهذيب الأخلاق» والمجلات المعارضة لها، وتطورت القصة الأردنية بفعل قصص نذير أحمد الذي يعتبر رائداً في هذا المجال كما تطورت الرواية أيضاً والمسرحية النثرية، وازدهر فن التراجم والسير الذاتية وكان من قبل عبارة عن المداخل وذكر مناقب صاحب السيرة الذاتية ويعتبر الطاف حسين حالي من رواد هذا الفن هو شبلى النعماني الذي برع في كتابة التاريخ (\*)، كما ظهرت قواعد جديدة للنقد الأدبي وكتب الطاف حسين حالي أول كتاب محدد في نقد الشعر وهو «مقدمة شعر وشاعري» كما ازدهرت اللغة الأردنية في ذلك العصر وبدأت تنتشر في أنحاء الهند واحتلت مكانة اللغة الفارسية ثقافياً وأدبياً وعلمياً وبدأ تأثير اللغة الإنجليزية على النثر الأردني في استعمال مفرداتها بكثرة في كتابات أدباء هذا العصر وعلى رأسهم السيد سيد ورفاقه وكانت بداية كتابه الموضوعات العلمية في النثر الأردني. ويقول الشيخ محمد إكرام: يوجد في الهند الآن كُتَّاب عظام في النثر الأردني يملكون أسلوباً خاصاً ويتميزون به، ولا يوجد أحد منهم لم يتأثر من قريب أو بعيد بأسلوب السير سيد، ويدعى البعض منهم أنه اخترع طريقة جديدة في الكتابة تختلف عن باقي الكتاب ولكنه مع ذلك يبقى متأثراً بأسلوب السير سيد<sup>(١)</sup>.

#### ب - ثانياً: الشعر:

امتد تأثير حركة على گرطه إلى الشعر أيضاً وكان الشعر يتميز في هذه الحقبة بالغموض والإغراق في الخيال والمبالغة واقتصر الغزل أشهر فنون الشعر الأردني على الغزل الحسي وابتعد الشعر عن الواقع وتفيد بالصنعة اللفظية على حساب الفكرة وتبارى الشعراء في تعقيد الشعر بقضايا فلسفية عميقة وتخير الأوزان الصعبة والرديف النادر

(\*) ترك لنا شبلى النعماني العديد من الكتب التاريخية مثل: سيرت النبي، سيرت النعمان سوانح مولانا روم، الفاروق، المأمون، الغزالي.

(١) محمد إكرام: موج كوثر. ص ١٤١.

وكان غاية الشاعر الأردى المنشودة زخرفة أشعاره بكلمات فارسية ونظم الشعر تقليداً لشعراء إيران الكبار، ولم يتطرق الشعر إلى موضوعات تتعلق بالمجتمع والحياة العامة فضلاً عن تصويره المناظر الطبيعية التى يطلق فيها الشاعر العنان لخياله فيقوده إلى مكنونها .

وهنا ثار السير أحمد خان وأعلن أن تطور الشعر لا يكون باستعمال الأفكار الغامضة والإغراق فى المبالغة وقد وقف السير سيد على حقيقة الادب وخاصة الشعر وكان يعرف ما هو الدور الذى يستطيع أن يؤديه هذا الساحر بالنسبة لإصلاح المجتمع لذلك أراد أن يخرج الأدب من نطاق الخواص ويصطبغ بالطابع الشعبى لذلك طلب من حالى لسانه الشعرى أنه « من المفيد لو وضحت بالشعر حالة الضعف الراهنة للمسلمين »<sup>(١)</sup> فقام حالى بنظم المسدس وصور فيه أحوال المسلمين فى الماضى والحاضر وكان أول من نظم الشعر فى مهمة إصلاحية وترجم أفكار السير سيد شعراً وكتب حالى فى مقدمة المسدسى عن حالة الشعر فى عصره فيقول: إن أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع من النظم الجاف البسيط لأن فيه ترجمة للوقائع التاريخية وبعض الآيات والأحاديث ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صحيحاً ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع الأسلوب ولإعادة المبالغة والتكلف . . ولم أنظم هذا الشعر من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الناس نار الحمية والغيرة<sup>(٢)</sup>، ويبدو من عبارة حالى الأخيرة مهمة الشعر الجديدة فهى من أجل الإصلاح وخدمة المجتمع وليست للتسلية والاستحسان والتفكه والتفنن فى استعمال اللغة الشعرية وبهذا يتضح فهم حالى للمهمة التى أوكلت إليه وبداية لتأثر الشعر الأردى بالنظريات الغربية الجديدة فى الشعر وخاصة « نظرية الفن للمجتمع » التى قامت على أنقاض « نظرية الفن للفن » وبهذا يكون حالى قد أحدث تغييراً هاماً فى الشعر الأردى من ناحية المضمون تأثراً بفيض حركة على غرطه التعليمية . وكان السير سيد قد اطلع على الشعر الإنجليزى وتأثر بأعمال استيل وايديسن وبافكار ملتن وشيكسبير فأراد أن يرى الشعر الأردى وقد أصبح أداة لإصلاح المجتمع والحياة الأخلاقية والاجتماعية ويرى أن ذلك لن يتحقق إلا بالصدق والإخلاص وساهمت آراء السير سيد فى تطوير فن الشعر وحدد طريقة تطور الأدب من حيث صدق العواصف والطبيعية فى النظم والموضوعات المؤثرة البسيطة والأسلوب القريب من

(١) حالى، ترجمة حالى (كليات نثر حالى . ج ١) ص ٣٤٠ .

(٢) حالى : مسدس حالى . ص ٥ .

الحقيقة والواقعية<sup>(١)</sup> - وهذه شروط الشعر الجيد كما حددها ملتن - وتأثر بها السير سيد فآوحى بها إلى حالى الذى أقام عليها نظريته فى نقد الشعر كما سنرى عند تحليلنا لكتاب «مقدمة شعر وشاعرى» وكانت هذه المقترحات قريبة من ذهن حالى لذلك تأثر بسرعة فائقة بأفكار السير سيد وأنس بها وحاول التجديد فى الشعر وكانت البداية فى لاهور حين «حقق محمد حسين آزاد رغبته القديمة عام ١٨٧٤ بإقامة ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم بالبنجاب وفيها يختار الشعراء أى موضوع ينظمون حوله الشعر بدلاً من تحديد مصرع من بيت يلتزم الشاعر قافيته ووزنه فى شعره<sup>(٢)</sup>» ثم يقول حالى: وقد نظمت فى هذه الندوات أربعة مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات» والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «أنصاف» والقصيدة الرابعة فى حب الوطن «حب وطن»، وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والجاذبية وخاصة قصيدة حب الوطن التى لا مثيل لها ولم ينظم أحد شعراً مؤثراً فى هذا الموضوع ومليئاً بالإخلاص قبل حالى<sup>(٣)</sup>.

وبالفعل بدأت أول مشاعرة «ندوة شعرية» عن موسم المطر (بركهات) فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها مع حالى تسعة شعراء هم أنور حسين هما، أشرف بيگ أشرف، الهى بخش رفيق، محمد حسين آزاد، محمد مقرب على، ولى دهلوى، قادر بخش، عطاء الله، علاء الدين محمد<sup>(٤)</sup>. وقد لاقت هذه الأشعار معارضة من الناس فى البداية ولكن فى خلال أربع عشرة سنة أصبحت مؤثرة بحيث يسمع صداها فى مدن الهند المشهورة<sup>(٥)</sup>. وقد استمرت هذه الندوات أحد عشر شهراً وكانت تعقد مرة كل شهر فى مقر الجمعية «انجمن پنجاب» وكان الهدف من هذه الندوات توسيع مجال الشعر الآسيوى الذى كان أسيراً للمبالغة والكذب والعشق بقدر الإمكان وقيموا أساسه على الحقائق والأحداث الحقيقية<sup>(٦)</sup>. وتعتبر هذه الندوات الشعرية بداية الشعر الأردى الجديد من حيث الموضوعات والأساليب والدعوة إلى الواقعية وتجنب المبالغة والتكلف

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٥٣.

(٢) حالى: ترجمة حالى ص ٣٤٠.

(٣) سالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٤٠.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ٣٤.

(٥) محمد إكرام سانوى: حالى واكبر كا خصوصى مطالعة ص ٦.

(٦) حالى: مقدمة مجموعة نظم حالى. ضمن كليات نظم حالى ج ١، ص ٥١.

والتصنع مع الالتزام بالبساطة والواقعية<sup>(١)</sup>. وبدأت نهضة شعرية امتد أثرها في معظم مدن الهند، وقد قامت حركة معارضة للشعر الجديد وعارضت هذه الحركة التحرر في الفكر واللغة والشعر ويمثل هذا الاتجاه المحافظ مجلة «أود هبنج» التي أصدرها منشي سجاد حسين في لكتناؤ عام ١٨٧٧م<sup>(٢)</sup>، وانضم إلى هذا الاتجاه الشعراء التقليديون وأصبحت حركة قومية تسمى «حركة أود هبنج» وكانت مجلة «أود هبنج» تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الشقافة الإسلامية على العكس من مجلة «تهذيب الاخلاق» التي كانت تروج للحضارة الغربية، وقد انتقدت مجلة «أود هبنج» الخروج على موضوعات الشعر القديم وانتقدت أشعار حالي وآزاد بأسلوب لاذع وساخر وكان الشاعر الساخر أكبر اله آبادى على رأس المعارضين للشعر الجديد ونظم شعراً كثيراً في نقد قادة حركة على گرط ه وعلى رأسهم السير سيد وقد ساعدت هذه الانتقادات على ظهور بيئة أدبية ملائمة لازدهار الشعر الأردى وبدأ الشعراء يهتموا بالموضوعات الحيوية التي تفيد الحياة اليومية وهموم المجتمع وبدأ الغزل الأردى فى الاهتمام بموضوعات جديدة فلم يعد شاعر الغزل ينظم الشعر فى محاسن المرأة فحسب بل أخذ ينظم الغزل فى موضوعات عديدة فى السياسية والمنطق والفلسفة والاجتماع وتنوعت الموضوعات بتنوع التجارب الإنسانية وأصبحت أكثر رحابة من ذى قبل وأصبح الشاعر على صلة بقومه وأخذ يتفاعل معهم وبالتالي استخدم غزله كأداة إصلاحية بعد أن كان فى غزله بعيداً عن هذه الحياة وكان حالى هو اللسان الشعرى لحركة على گرط ه وأبرز الشعراء فى حركة التجديد ويتضح ذلك عندما نقارن بين غزليات حالى القديمة والجديدة فنرى فرقاً واضحاً من حين الشكل والمضمون وفى الباب الثانى إن شاء الله ساتناول اقتراحات حالى لإصلاح فنون الشعر الأردى وخاصة الغزل فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى».

(١) عبادت بريلوى: جديد شاعرى ص ١٢ - ١٤.

(٢) غلام حسين ذو الفقار اردو وشاعرى كاسياسى اور سماجى پس منظر ص ١٠٧.

### ٣ - ندوة العلماء والاتجاه التوفيقى

استمر الصراع قائماً بين دار العلوم ديوبند التى اهتمت بالعلوم الدينية القديمة فى مقرراتها، وبين كلية على كمرط ه التى راعت تطبيق المناهج الغربية فى التعليم وقامت بتدريس العلوم الحديثة وبذلك قامت كل مؤسسة منهما على أهداف خاصة بها وانتهجت كل منهما طريقاً مختلفاً عن الآخر بحيث أصبح من الصعب أن تؤتى كل من هاتين المؤسستين ثمراتهما الإصلاحية نتيجة هذا الصراع وأصبح من العسير على كل مؤسسة منهما أن تقوم بمهمة إصلاحية بمفردها وكان من الضرورى أن يمتزج القديم بالجديد وتحقق ذلك بقيام «ندوة العلماء» التى حاولت ايجاد نوع من التوافق بين النظام التعليمى القديم والجديد فقامت بتدريس العلوم الغربية الحديثة بجانب العلوم العربية والدينية القديمة.

وكانت ندوة العلماء إحدى المحاولات لتضييق الهوة بينهما وراعت الفرق بين الإطار الفكرى لكل من الاتجاهين وقد وردت فكرة إنشاء هذا المعهد فى ذهن شبلى النعمانى والشيخ محمد على المونجى وبعض العلماء الآخرين حيث يدرس فيه العلوم الغربية طبقاً لضروريات العصر وسرعته المتغيرة إلى جانب العلوم الدينية القديمة وبذلك تكون الندوة مرحلة توفيقية بين اتجاه «ديوبند» السلفى واتجاه «على كمرط ه» العصرى، وتكون مجلس «ندوة العلماء» عام ١٨٩٢م وتشكلت «دار العلماء» عام ١٨٩٤م ووقع عدد كبير من العلماء على وثيقة مجلس الندوة ومنهم محمد لطف الله وشاه محمد حسين ومولانا أشرف على تهانوى ومولانا محمد على مونجى ومولانا محمود الحسن الديوبندى<sup>(١)</sup> ووجه هؤلاء العلماء اهتمامهم إلى الحياة الاجتماعية ورتب شبلى النعمانى وعبد الحق حقانى قواعد الندوة ولوائحها وكان هدفها ازدهار المدارس الحربية ورواجها ونشر الإسلام وحل النزاع المتبادل فى الافكار المختلفة بين العلماء، وإصلاح المقررات الدراسية وتطوير علوم الدين وإنشاء دار للإفتاء<sup>(٢)</sup>، وقد أدرجت فى البداية تحت اسم «دار العلوم بلكناؤ» ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م ثم فروعها من المدارس، وقد اهتمت

(١) معون الدين عقيل: تحريك آزادى من ارد وكاحصة ص ٣١٥.

(٢) رام بهوسكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٦٩.

دار العلوم بالمقررات الدراسية ويستطيع الدارس أن يكملها في ثمان سنوات وتضم اللغة الإنجليزية والرياضة والجغرافيا بالإضافة إلى العلوم الدينية وأخذت المقررات تتغير وتبدل بعد ذلك وقد انتخب العلامة شبلى النعمانى مديراً لها فقام بمنع تدريس اللغة الإنجليزية فى السنة الثالثة وفى سنة ١٩٠٨م أعطته الحكومة الإقليمية خمسمائة روبية مساعدة فأعاد تدريس اللغة الإنجليزية حتى الصف العاشر وشمل المقرر فى ذلك العام اللغة السنسكريتية والهندية<sup>(١)</sup>. وقد قام برسكات هيوم حاكم الممالك المتحدة بوضع حجر الأساس لدار العلوم فى ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨م وقام حالى بنظم قصيدة<sup>(٢)</sup> بهذه المناسبة نزولاً على رغبة شبلى ولكنه لم يلحقها بنفسه بسبب مرضه وقد أيد حالى الندوة فى هذه القصيدة ونوه بأهدافها وكان حالى من أنصار التعليم الدينى مع الاستفادة بالتعليم الإنجليزي بقدر الحاجة فقط. وقد مرت المراحل الأولى للندوة بسلام ولكنه سرعان ما ظهرت بوادر الخلافات بين شبلى مدير الندوة وباقى الأعضاء الآخرين، فقدم استقالته من إدارة الندوة فى يوليو ١٩١٣، وقام بتأسيس «جمعية إصلاح الندوة» مع حكيم أجمل خان وأبو الكلام آزاد<sup>(٣)</sup>، ولم تنل الندوة الشهرة والعظمة التى كانت لها أيام شبلى وقد كانت تجربة الندوة هامة بالنسبة للمسلمين فى شبه القارة الهندية وكان لها دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية وتخريج علماء ومؤلفين كانوا ملتقى للثقافتين وبرزخاً بين الطائفتين وقد غيرت ندوة العلماء المناهج القديمة التى لا تتوافق مع حاجات المجتمع الإسلامى الجديد، واهتمت باللغة العربية والفارسية وعلوم الحديث والتفسير وقدمت كتباً كثيرة فى مجال التاريخ والحضارة الإسلامية وقامت بترجمة صحيحة للقرآن الكريم وأصدرت مجلة «الندوة» وأشرف عليها شبلى النعمانى ومولوى حبيب الرحمن شيرانى وقامت بنشر موضوعات قيمة دعمت أهداف الندوة وأسس شبلى دار المصنفين فى أ عظم گڑھ سنة ١٩١٣م فقامت بخدمات جليلة فى مجال التأليف والنشر وقام شبلى بتصنيف «سيرة» النبى<sup>(٤)</sup> فى مجلد وبتأليف شعر العجم فى خمسة مجلدات.

وقد استمرت ندوة العلماء فى أداء واجبها حتى اليوم برغم المعارضة التى لاقتها

(١) معين الدين عقيل: المرجع السابق ص ٣١٦.

(٢) حالى: كليات نظم حالى ج ٢ ص ٣١٦ وجواهرات حالى، ص ٩٤.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ١٨٩.

(٤) رام بابوسكسينه: تاريخ أدب اردو ص ٤٧٢ - ٤٧٣. محمد إكرام: موج كوثر ص ١٨٩ - ٢٥٥ ومعين

الدين عقيل. تحريك آزادى مين اردو كاحصه ص ٣١٧.

فى بداية إنشائها من السير انطونى ميكدونيل الذى قوض دعائم الأردية فى إقليم بهار وكان حاكماً للولايات المتحدة ومن أشد المعارضين للندوة من جهة ومن السيد أحمد رضا خان بريلوى الذى قام بكتابة عدة رسائل حماسية معارضة للندوة وأقام جماعة معارضة لها فى كلكتا سماها «جدوة»<sup>(١)</sup>، ولكن رغم هذه المعارضة استطاعت الندوة أن تقوم بدورها فى التوفيق بين التيار الدينى فى ديوبند والتيار العلمانى فى على گڑھ ونشأ نوع من التعاون بين التيارين ونجحت فى التقريب فى وجهة نظر الطرفين وقد رحب السير سيد ومحسن الملك ووقار الملك بالندوة.

---

(١) رام بابوسكسينه . المرجع السابق ص ٤٧٠ . انظر أيضاً: عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند، ص ٣٤، ٣٥ .